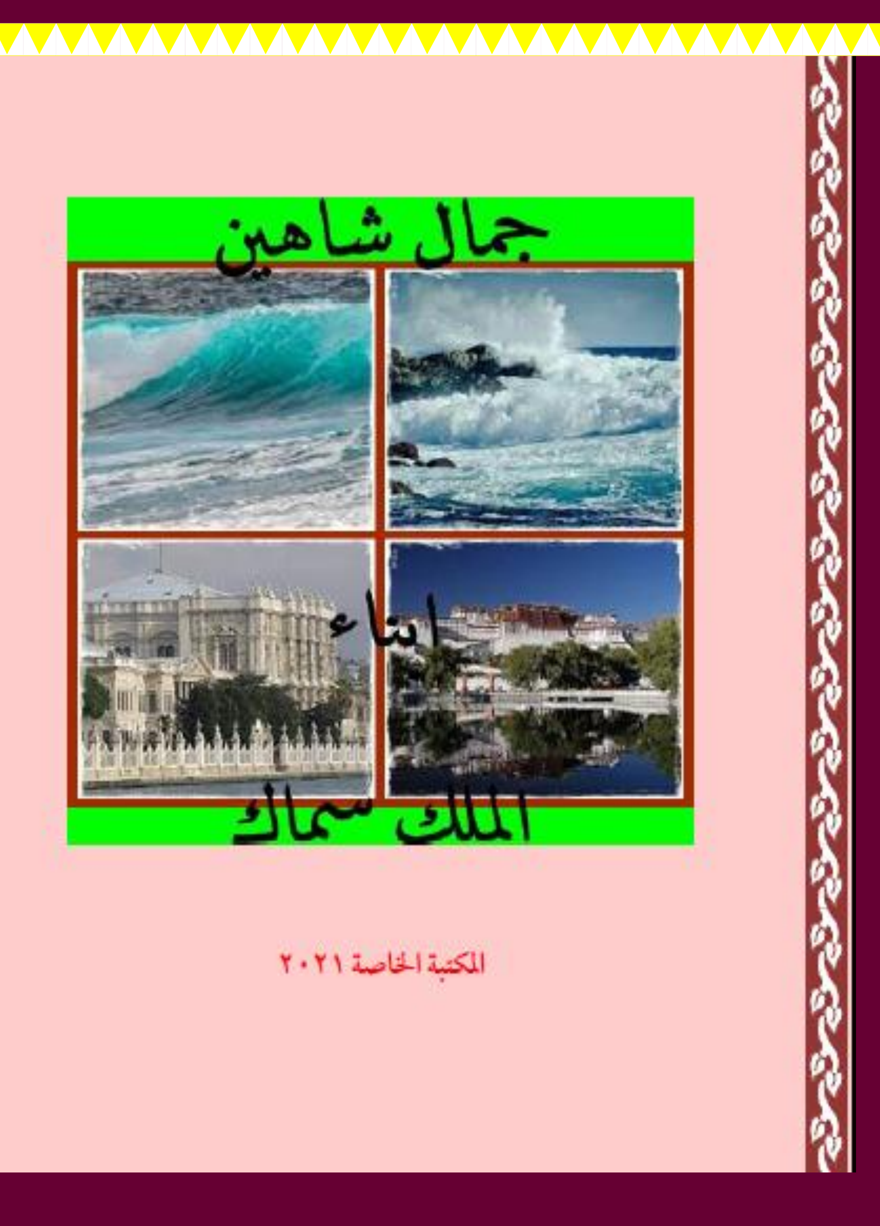


جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١



بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهين

٢٠





الملك سماك تزوج من ابنة الصياد

وخشي على الوليد أن يقتل

فطلب من خادمه الاختفاء بزوجته في بلاد بعيدة

وجرى صراع عنيف بين أولاده على الحكم والتاج

حتى غرقت البلاد في الدم والخراب لسنوات وسنوات

حتى رجع ابن بنت الصياد

فسكنت البلاد

وفسر حلم الملك سماك بعد سنين

ابناء

الملك سماك

١

عندما استيقظ سماك الملك من نومه مهموما هلعا مما رأى من رؤى وأحلام استدعى خادمه الخاص صديق الراعي ، وقال له بضيق : هيئ لي يا صديق الشرفة .. لا أرغب بالنوم ثانية .. إنني أحلم أحلاما مخيفة منذ أيام خلت .

فقال الخادم الخاص : ما زال هناك متسع للنوم يا مولاي الملك .. فالفجر بعيد ظهوره .

فقال الملك الضجر والحزين : لا عليك .. اشعل الموقد إذا خمدت ناره ، وأشعل مصباح الشرفة لا أريد النوم .. افعل ما تؤمر أيها الرجل الطيب !

خرج الخادم الطيب من حجرة نوم الملك إلى حيث الشرفة التي يحب أن يسهر فيها صاحب التاج الملك سماك ، وكانت الشرفة مزخرفة وواسعة ومطلة على البحر الكبير ، فهذا القصر الملكي مطل على البحر الكبير ؛ بل مياه البحر تضرب جدرانه ، فكل مدينة الشواهد مطلة على البحر بل يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، وهي مدينة كبيرة بل تجمع عدة مدن بحرية، ففي رأس المثلث مدينة الحزينة والضلع الشرقي مدينة خرم الحزينة والضلع الغربي مدينة سلة الملك ، ويقع بين هذه المدن الكبار عددا من القرى الصغيرة والبلدات وعاصمة الملك مدينة الحزينة ، وقصر الملك سماك بن صخرة ملاصق للبحر المحيط ببلاد الشواهد .

والذي يحزن الملك ويؤرقه منذ سنوات ذريته فمنذ أن هده المرض ، ولم يعد يستطع ركوب الخيل ، فقد استقوى عليه ولداه ؛ بل حتى ابنته لا تهتم به ، ولا ترعى أمره ، وكل فرد منهم طامع بولاية العهد والحكم من بعده ، ويحزب الاحزاب حوله .

وقصة هذا الملك تبدأ قديما عندما اعتلى حكم هذه البلاد الكبيرة منذ أربعين سنة ، فعندما كان والده يموت اختاره دون اخوته ملكا وريثا له ، وطلب منه والده الزواج من ابنة الوزير بشوم بن حمض وكانت تكبره بسنوات ، ولما جلس على كرسي وتخت الحكم نفذ وصية والده صخرة ونكح ابنة الوزير بشوم الأميرة كرام ، وبعد زواج استمر خمس سنوات لم تلد له تلك المرأة ، فطلب منه أعمامه واخوته أن يتزوج من ابنة القاضي رسال بن جادي قاضي الملك

وكبير قضاة البلاد ، فتزوج الملك سماك من الأميرة منيرة ابنة القاضي رسال ، وبعد سنين ولدت له ابنة القاضي ابنته البكر الاميرة زهرة ، وفرح الناس والملك وأهله بولادتها فرحا مشهودا ، وبعد سنوات أخرى ولدت الاميرة منيرة ابنة القاضي رسال ابنه قسيم ، وفي نفس السنة ولدت الاميرة كرام ابنة الوزير بشوم ولدا فسماه حازما ، وعندئذ بدأ الصراع والتنافس بين الوزير والقاضي ، فالوزير يرغب أن يكون حفيده وريثا لأبيه في الملك ؛ لأن ابنته الزوجة الأولى للملك ، وتزوجها عن وصية أبيه صخرة ، فهو الأحق بالخلافة ، والقاضي أيضا يريد أن يكون ابن ابنته وريثا للملك لأنه الابن الأكبر ولو ببضعة شهور ، بل بعض الأهل من وجدت لديهم رغبة بأن تكون الابنة زهرة الملكة بعد حياة والدتها وموته ، فللملك جدة كانت تسمى زهرة وقد حكمت البلاد قديما ، وما زال الناس يتحدثون عن عدلها وشجاعتها وفطنتها ، ولما ولدت زهرة بعد كل سنوات الانتظار اشيع بين الامراء بأنها الملكة المنتظرة ؛ بل سعت أمها منيرة تهيئة الناس لذلك ، وأخذت تجمع حولها الأنصار ؛ خشية موت سماك دون تسميتها ملكة ، ويعتلي العرش أشقاء سماك ؛ ولكنها لما أتت بقسيم خف حماسها لهذا الرأي ؛ فالذكر أولى بالقيادة والرئاسة ، وحق توريث الملك هو حق للملك ينفرد فيه ويختار من يشاء من أسرته كإخوته وأبنائه وأعمامه ، فكان القاضي الكبير رسال يحزب الفرسان والامراء حول ابن ابنته قسيم ، والوزير بشوم يدعوهم للالتفاف حول الامير حازم والاميرة زهرة كان بعض أعمامها يرغبون الملك باختيارها ليحي تاريخ الاجداد وجدتهم زهرة ، وليكف النزاع بين الأخوين وأنصارهم ، فتعلق قلبها بالملك مثل اخويها ، فلما هد المرض والارهاق الملك سماك زاد التنافس والصراع ، والملك يماطل ويؤجل الفصل في ذلك حتى تزف ساحة الرحيل ، ولكن ساعة الرحيل لم تأت كما توقع المقربون من العرش ، فقد حدث أن كان الملك يوما مع فارسه الخاص همام وبعض خدمه في إحدى قرى الصيادين وقد جلسوا على صخرة يشاهدون الصيادين ، وهم يرمون شباكهم لصيد السمك ، وبينما هذا الملك يجلس وحوله غلمانه يتابع الصيادين وأكوام السمك إذا رأى صبية حسناء جميلة تخرج

من أحد الاكواخ وقد اقتربت من الشاطئ ؛ حيث رجل صياد ومعه أقرانه، فتحدثت معه فترك الشبكة مع أحد ابنائه وسار مع الفتاة الحسناء نحو كوخهم ، شاهد الملك المتفرج الفتاة الحسناء فاستحسنها وراقت في عينيه فقال لفارسه همام : أيها الفارس .. إنها صبية حسناء وذات صوت جميل .. أهي ابنة الصياد ؟!

دهش الفارس لأمر الملك الشيخ فرد : أعتقد يا مولا ي أنها ابنته !

فقال الملك بصراحة ومن غير مواربة : أيها الصديق ! عشق القلب هذه المرأة .. بل ذكرتني بمنام قديم كنت أراه ..

قلق الفارس لهذا الخاطر ولهذا العشق المفاجئ والمتأخر ؛ فالملك الناس تنتظر نهايته ويتحلقون حول أولاده ينتظرون كلمة الفصل في ولاية الملك ، وها هو يفكر بالزواج فعقب الفارس همام على ما سمع من الملك والدهشة مرتسمة على محياه : منام قديم ؟!

فقال الملك بعدما أمر الخدم بالابتعاد عنهما : نعم، لقد رأيت أن بلادنا تغرق وتغرق ولا يزيل عنها الغرق الا رجل من صلبي ، ولكنه من أبناء العامة ، بل قال لي شيخ المعبد " إنني سوف أتزوج من ابنة صياد ، وولدي منها سينقذ البلاد من الغرق " .. ولما رأيت هذه الصبية الحسناء اهتز لها قلبي الضعيف الوهن وتذكرت ذلك الحلم يا همام .. أعرف أنني رجل مريض والكل ينتظر هلاكي ؛ ولكني منذ شهور أرى أنني تحسنت يا همام .. دعنا نكلم الصياد .

فردد الفارس بقلق : مولاي الملك ! إنها ابنة صياد .. مسكين فقير !

فقال الملك بإصرار : نفذ أيها الفارس ألست صديقي وصاحبي وفارسي الخاص ؟!

فقال الفارس : إني خائف عليك !

فارتبك الملك للحظات ثم قال :ممَ ؟ من زوجاتي ؟ من آبائهن ؟ أم من الاولاد الظلمة الذين يعتدون على الناس والشعب ولا يرتدعون بكلام ولا تهديد ويريدون الملك للتجبر واذلال العباد ؟ أم من ضعفي وسقمي أيها الأخ الشجاع ؟!

فقال همام وهو يشغل فكره : إني خائف عليك وعلى الصياد وابنته يا مولاي ؟

فقال الملك بغضب ظاهر : وأنت وفرسان الملك ماذا تفعلون ؟!

ـ أنا خادمك المخلص يا مولاي ولكن ...

ـ لا داعي للكن هذه .. هيا اتبعني ..

مشى الملك بخطوات وئيدة ضعيفة تدل على تعب الملك البدني والحسي مشوا نحو الكوخ الذي دخله الصياد والفتاة ، ولما وصلوا إليه أمر الملك أحد الغلمان أن يستدعي صاحب الكوخ .. خرج الصياد ورأى الملك ولم يعرفه ؛ ولكنه أحس أنهم من علية القوم ، وخرجت الصبية ووقفت بباب البيت تنظر من هؤلاء القوم الذين يرغبون بالحديث مع والدها الصياد ولما عرف الصياد أنه يكلم الملك خر مقبلا ليده ومرحبا به ومعتذرا له عن جهله بصورته ، فعذره الملك وخاطبه مباشرة بشأن الصبية أمام دهشة الفارس والغلمان ، فتعجب الصياد البسيط لطلب الملك مصاهرته ، فتلعثم لسانه وارتبك فهرعت إليه الصبية ظانة أن مكروها ألم به .. فبش لها الملك وحدثها بما طلب من أبيها ، فاضطربت هي الاخرى لما علمت أن هذا الرجل الذي يتحدث معهم هو الملك سماك بن صخرة وكادت لا تصدق .

ثم جرى زواج الملك سماك أمام دهشة رجال البلاط والامراء وحتى الشعب ، الملك يصاهر الصياد جرو البحر ، ولم يمت الملك كما توقع الكثير من الامراء والحاشية ، وبعد سنة تزيد قليلا أنجبت حورية الماء ابنة الصياد فتاة للملك ، فرح الملك بها وقال لنفسه : أيكون انقاذ مملكتي كما رأيت في تلك الرؤية على يد هذه الفتاة .

عاش الملك سنوات أخرى وكبرت الصبية المولودة وأصبحت ذات خمس سنوات وقد سميت كما أخبرنا بالأميرة " شما "

***

لما تجهزت شرفة جلوس الملك ترك مخدع النوم وذهب اليها ، فهو يحب الجلوس والاضجاع فيها ويأخذ بمراقبة البحر وسماع صوته الضخم عند ارتطامه في جدار القصر .. ويرى السماء

ونجومها ويسمع اصوات الاطيار على الاغصان السامقة في عنان السماء ، وطيور البحر وزعيقها الذي يملأ الأكوان ، وتدثر الملك الشيخ بفراء سميك واقترب من موقد النار، ووضع له خادمه الكهل الوانا من الفاكهة والطيبات ، وأراد الجلوس أمام مدخل الشرفة كالمعتاد ليخلو الملك الهموم مع نفسه وأفكاره ، فدعاه الملك للجلوس بقربه فأدرك الرجل أن الملك يريد أن يسر إليه بشأن ، فتأدب وجلس بين يدي الملك سماك فسمعه يقول : صديق أنت خادم مخلص لي .. وقد خبرتك منذ أكثر من عشرين سنة .. ولا أشك في حبك لي ..

فأظهر الخادم كلمات تؤكد الولاء والحب والإخلاص لسيده الملك ، ثم عاد الملك يقول : اسمع يا صاحبي .. سأكلفك بمـهمة عظيمة أيها الصديق .

أظهر الرجل اخلاصه وامتنانه للقيام بهذه المهمة ولثقة الملك الكبيرة بشخصه الضعيف فما هو الا مجرد خادم في قصر الملك منذ وعى على نفسه وهو يعيش في قصور الملك ، ثم خصه الملك سماك بخدمته الليلية والخاصة ، فقال الملك هامسا : سترحل يا صديق الى بلاد بعيدة .. زوجتي حورية الماء حامل .. وأنا أحس بأن أجلي قد دنا واقترب .. وأنا خائف عليها وعلى ما في رحمها .. وأنت تعلم كما يعلم الناس جميعا أن اولادي لا يكنون لي الاحترام والتقدير اللازمين .. وأنا خائف من غدرهم .. فقد طلبت من حورية أن تستعد للرحيل خفية والاختفاء دون علم أحد إلا أنا وأنت يا صديق .. ترحل بها الى بلاد عيسى وهناك تنزلها في بيت وتخدمها كما تخدمني حتى تلد ويكبر المولود الذي أراه في منامي ولدا ، وهو سيكون الملك من بعدي يا صديق .. سيكون أخي زيد الملك بعد موتي القريب دون اولادي وسآخذ منه عهد أن يجعل ولدي من ابنة الصياد ملكا عندما يكبر ويشب .. هل تسمع ما أقول ؟! .. ستسافر إلى باد بمركب تستأجره ومن هناك تركب الى حوت وبعدها الى جمار وهو مرسى سفن مدينة عيسى وفي عيسى تستقر وتختفي يا صديق سوف يبحثون عنك تنكر ودبر الأمر .. فهل أنت أهل لهذا الأمر العظيم يا صديق الشجاع ؟! .. وأنت بخدمتك لولدي ؛ كأنك تخدمني يا صاحبي الراعي .. عليك ترتيب أمر السفر خفية وسرا

تلقى صديق الأمر الخطير والمخيف بكل طاعة ، فدفع له الملك بعض عقود الجواهر والمال وأمره بالاستعداد للسفر .

ولم تكد تمضي بضعة أيام على هذا الاجتماع حتى غادر صديق بالأميرة الحسناء حورية الماء إلى مدينة باد ، ولما دخل مدينة حوت سمع الناس يتحدثون عن هلاك ملك بلاد الشواهد وتنصيب الامير زيد بن صخرة ملكا على البلاد وسمعهم يتحدثون عن غضب أولاد الملك الراحل على عمهم زيد لتقديمه ملكا على البلاد .

******

بعد سفر صديق بحورية بيومين أو ثلاثة طلب الملك سماك الوزير بشوم والقاضي رسال وقادة الحرس والجيش وكبار رجال البلاط الملكي وأعمامه الاحياء واخوته ورجال العائلة الكبار وفي اجتماع خطير عهد أمامهم بالحكم لأخيه زيد دون اولاده الثلاثة وصيا على العهد والعرش حتى تلد زوجته حورية ابنة الصياد جرو البحر ولده ويكبر ويبلغ سن الرجال فيحكم البلاد خليفة عن والده سماك ، فاشتد غضب ولديه الشابين وقام الصياح والهجاء فطلب الملك من قائد الحرس حوري بحبس اولاده الذكور في سجن القصر ، ثم أعلن لهم الملك ثانية ما قرره ورتبه وأخبرهم برحيل زوجته حورية الحامل من البلاد الى مكان مجهول حتى تلد ابنه وتربيه بعيدا عن أهله حتى يكون الملك من بعده وحفظا لحياته حتى يشب ويكبر ويعود للبلاد وأن وصاية زيد تنتهي بعودة الطفل الموعود .. وأخذ الملك المواثيق الغلاظ من الامراء والقضاة والجند وشيخ المعبد على تحقيق ذلك .. وبعد اعتراض من بعض الامراء والاقارب أقسم الجميع على تنفيذ وصية الملك وإن أصابهم الغضب في نفوسهم وعقولهم ، وبعد انصرافهم دعا الملك ثانية أمير البحر وأمير العسكر وأمير الحرس وأمير فرسان الملك وأخذ منهم المواثيق والعهود على المحافظة على العهد فاقسموا له بالولاء وحفظ الامير وطاعته عندما يعود للبلاد .

وبعد يسير فاضت روح الملك سماك بن صخرة ملك بلاد الشواهد الى بارئها سبحانه وتعالى ،

وشيع في جنازة حزينة ومضطربة وأعلن امراء البحر والجيش والحرس والفرسان الامير زيدا ملكا على البلاد والعباد حسب وصية الملك الهالك . وقد رفض اولاد الملك قسيم وحازم البيعة واعتكف كل أمير في قصر أمه وحوله انصاره واعوانه . فتحدث زيد الوصي مع الوزير العجوز بشوم وحذره من تمرد ابن ابنته كرام ، وكذلك تحدث مع القاضي العجوز رسال وبين لهم أن الملك الراحل فعل ذلك لمصلحة وحياة البلاد وأنه لم ير في ولديه الكفاءة للقيادة والرياسة .. فضحك الوزير بشوم وعلق قائلا : أما الابن الجنين اذا كان ابنا فهو أهل للملك والرئاسة يا ملك زيد ؟!

فقال الملك زيد بشدة : هذه وصية أخي .. أيام ثلاثة اذا لم يأت هؤلاء الصبية وأمام القادة والامراء لإعلان التوبة والبيعة فسوف أزج بهم في السجون .. أنا الملك اليوم وليس الجنين فطاعتي واجبة عليهم بوصية أخي وبأنني عمهم ..

فقال القاضي رسال : أهدأ يا صاحب السلطان .. فلا تعجل على بيعتهم أيها الملك .

فقال زيد الوصي : لم نعهد تمردا على اختيار الملك في أسرتنا أيها السادة .. فهذه سابقة خطيرة .

فأجابه الوزير بنبرة غاضبة ومتحدية : لم نعهد وصاية بهذه الصورة على الملك أيها الملك فهذه سابقة لم نسمع بها في مملكتنا .. وصاية على جنين مجهول !

فصاح الملك بحدة : أخي فعل ذلك لفساد ولديه ولتصارعهما أو تصارعكما أنتما على ولاية الأمر .. فأنتما السبب ؟! كل واحد منكم يحرض ابن ابنته ليكون هو الملك حتى أن الاميرة زهرة حفيدة القاضي الكبير طمعت في ملك اجدادنا قبل ولادة قسيم ولها انصار ما زالوا يحثونها على ذلك الشأن .. اسمعوا وعوا .. ثلاثة ايام أنتظر خضوعهما .. عندما يأتي المولود الهارب ويصبح ملكا فليتمردوا كما شاءوا .. أما وأنا الملك فعليهم بالولاء والطاعة .. انصرفا الآن لا بارك الله فيكما !

مضت الايام الثلاثة ومازال ابناء سماك يرفضان الخضوع والبيعة لعمهما زيد ؛ بل ارسلا إليه سيلا من السباب والشتائم ، فجمع الملك زيد امراء الحرب واخوته الاحياء واعلن أمامهم

عزل الوزير بشوم والقاضي رسال وعين الأمير رفيق بن عديل ابن عم له وزيرا للبلاد وتعين القاضي فارس بن محمود كبيرا للقضاة في البلاد وفرض الحصار على بيت الوزير بشوم والقاضي رسال ، فرفض الوزير الشيخ الامر وانتقد الملك واتهمه بالطمع بالحكم ، فزج به في السجن هو وكل من معه ، وأما القاضي فأعلن الخضوع والولاء للعرش ورضي بالحبس في بيته كما يريد الملك زيد .

فلما عرف الاميران قسيم وحازم بذلك ازداد حمقهما وأتى قسيم للملك مبديا سخطه وغضبه ومهددا بالثورة على الحكم والعرش فصفعه زيد الملك ورماه في سجن القصر ثانية ، فأقبلت أمه منيرة وتشاجرت مع الملك ، فعذرها الملك كرامة لأخيه الميت وقال لها : ابنك يحتاج إلى إعداد جديد .. يشتمني ويتوعدني .. عندما ينصلح حاله سنعفو عنه وعن تطاوله .

أما الامير الشاب حازم حفيد الوزير لما رأى جلادة وقسوة عمه فر من البلاد هاربا ، وقد بحث عنه الملك زيد في أنحاء البلاد ، فلم يعثر عليه فأدرك أنه خرج من المدينة .. وبعد حين حاول الملك زيد البحث عن حورية الماء فعلم أنها اختفت قبل وفاة الملك سماك بصحبة الخادم صديق الراعي ، وحاول عن طريق إخوتها ووالدها جرو البحر كشف السر ومعرفة مكان اختفائها فأنكروا معرفتهم بذلك السر ، وكتم الامر في نفسه وتركه للأيام .

وأما الاميرة زهرة فلما رأت صرامة عمها أظهرت خضوعها وبيعتها للملك مع أن النساء لا بيعة عليهن ، فقبل منها زيد ذلك ، وحثها على الاقتران بأمير أو فارس والابتعاد عن حياة الرجال واطماع الرجال والانشغال ببعل وابناء ، فتظاهرت بالرضا والقبول والاقتناع وأنها ستفكر بالزواج ، وعادت لأمها باكية شاكية ذليلة وقالت صارخة : يا أماه .. لا حياة لنا في هذه البلاد .. فعمي حاقد علينا ولم يدع حرمة لأبينا الميت منذ أيام .. وأحس أن عيونه تطاردنا وسمعتهم يتحدثون عن محاكمة لقسيم فأخشى يا أماه أن يعدموه الحياة .. فيبدوا أن عمي طامع بالملك للابد .. فأفعاله ليست أفعال وصي .

فقالت الام : أنتم السبب ! أنتم دفعتم سماك أن يدفع الحكم والملك عنكم .

فهزت الفتاة رأسها بحقد وغضب وقالت : سوف يرى هذا الملك ما ستفعله بنت سماك !

فقالت الام منيرة : كان أبوك ذكيا ! كنت أراه ساذجا أحمق .. فقد عرف من يختار للملك ؟! أين أخفى حورية الماء ؟ وهل هي فعلا حامل ؟! أين ذهبت ؟! .. لقد دسست جارية على أهلها .. فأكدت لي أنهم لا يعرفون .. بل لم تخبرهم بخطة الملك !



٢

عقد مجلس القضاة في البلاد جلسة تمت بها محاكمة قسيم بن سماك ، فعرض عليه كبير القضاة الامير فارس بن محمود التوبة والندم والاعتذار لصاحب السلطان ، ولكن الفتى الشاب ركب رأسه وعناده وأصر على رفض البيعة ؛ بل زاد في شتم واتهام عمه أمام جمهور الحضور بالخيانة ، واتهم عمه بالتآمر على الملك سماك وأنه خدعه مظهرا ومتظاهرا أمامه بالبلاهة والبساطة ، وأمام إصراره على هذه العداوة والمعاندة أمر القاضي بحبسه عشر سنوات، فنقل إلى سجن البلاد الواقع في مدينة سلة الملك المدينة الغربية في بلاد الشواهد ، فألقي مع رعاع الناس والسوقة والمجرمين .

ولم يقبل الملك الوصي شفاعة أحد فيه ، وهو أصر أمام كل زائريه بعداوته وبغضه للملك الغاصب ، وهدد بالانتقام والقتل لعمه زيد ، وأما بشوم فقد أخرج من السجن ذليلا مهانا ومنع من مفارقة بيته ، فهو سجين بيته ، ولم تكد تنتهي هذه المحاكمات حتى حاول أحدهم قتل الملك زيد ؛ ولكنه نجا من طعنة الخنجر ، وقد قتل الغادر أثناء الجريمة ، ولم يعرف من وراءه ودفعه للاغتيال ، فأعاد الملك ورجاله ترتيب الحرس وحركاته .. وأدرك الناس أنهم مقبلون على أيام صعبة بسب الصراع على الملك والعرش .

وأدرك الملك زيد بعد محاولة قتله الخطر المحدق به وأن أعداءه كثر ، وأن الخفي أكثر من الظاهر ، وأن هذه الطاعة تخفي وراءها ما تخفي من الحقد والحسد والثأر والانتقام ، فبدأ يستعمل أموال الخزانة لشراء النفوس والولاء لشخصه ، وأخذ يحدث تغييرات كبيرة في قيادات الحرس والبحر والعسكر ؛ ولكن رويدا رويدا .. وقد شكل فرسانا جددا للملك وكان يساعده في ذلك وزيره رفيق ابن عمه عديل ، وقاضيه فارس وولده البكر راهب ، وأما صاحب الحظوة لديه والمستشار الذي يسمع رأيه أولا فهو صديقه غضبان ، فهو مستشاره وأمين سره في المعمعة ، وما مضت السنة الاولى على الحكم والولاية حتى كان الملك زيد الوصي يتقدم الى الامام في تثبيت قدميه في ملك البلاد بلاد الشواهد ، وبينما الوصي يدعم ملكه ويشتري الانصار جاءه خبر فرار ابن أخيه قسيم من السجن ، ونبأ مقتل صاحب

السجن الموالي له ، فغضب الملك وأجرى تحقيقا دقيقا في قيادات السجن والحرس ، ولم يكد ينتهي من هذه المشكلة حتى فوجئ بتعرض ولده البكر راهب لمحاولة قتل ، فارتبك الملك واعوانه فعزل صاحب الشرطة وعين رجلا مكانه ، وكان يتحدث مع مستشاره غضبان بغضب وقلق فقال : ايها الامير ! إني اريد أن أعرف من وراء هذه الأحداث ؟ فبشوم اللعين تحت المراقبة والقاضي رسال مثله .. وهؤلاء هم اعداؤنا كما نعلم ؟ وابن أخي حازم هارب منذ سنة ولا أراه قرب البلاد فعيوننا ترصد الداخل والقادم .

فقال غضبان : اطمئن ايها الملك .. سيستقر العرش تحتكم يا مولاي ! .. إنما هذه تنفيسات من بعض الأشقياء لنتصرف بحمق وانفعال .. فالشعب ما زال هادئا وقانعا بكم ملكا على البلاد فأنتم الملك الشرعي رغبة ووصية من الملك الراحل وأولاد الملك ليست لهم شعبية لدى الشعب فتغطرسهم وأفعالهم القبيحة في حياة والدهم لم تترك لهم محبة عند العامة .. فاطمئن يا مولاي ! .. وقد أثرنا الشائعات والشبهات حول اولاد الملك الراحل رحمه الله ..رغم ما اصاب ابنكم من بأس فالأمور تصير لصالحنا ايها الملك .. سيشفى الامير الشجاع راهب وبعد عمر مديد سيرث هذا التاج وهذا العرش .. وما زلت أبحث عن تلك المرأة الهاربة حورية الماء وعن ذلك الخادم اللعين صديق الراعي .. فقد أرسلت عددا من رجالي يتحرون عنهم في المدن المجاورة .. فهم قد بان لي أنهم غادروا قبل وفاة الملك بيومين أو ثلاثة .. وما زلت آخذ الصياد واولاده باللين والمسايرة وقد ترجح لديّ أنهم لا يعلمون عن ابنتهم شيئا لا أدري لماذا تصرف اخوكم هذا التصرف الغريب في آخر ايامه ؟!

فقال الملك بحيرة : وأنا مثلك ! وعندما شرح لي رغبته بجعلي وصيا على العرش فاجأني حقيقة ؛ فأنا لست أكبر إخوتي الأحياء، ولست اصغرهم كما تعلم .. ولما اسر لي بأمر ابعاد زوجته حورية لم استطع أن اسأله عن السبب لهذا الابعاد والاخفاء ، ولكنه أشار أنه خائف من أولاده ..

فعاد صاحب السر يقول : إنه أمر محير ؛ ولكنهم في حجرات النساء والخدم يتحدثون عن رؤيا رآها الملك قديما .. وسنصل إليها ونتخلص من المولود اذا كان ذكرا ؛ وليظل الشعب

ينتظر عودة الملك الموعود وأما اذا وضعت انثى سنحضرهم للبلاد ونكرمهم غاية الاكرام كما أكرمنا الملك الراحل وجعلك وليا وملكا بعده .. فيرتفع مقامك أمام الأمة والأمم الأخرى.

فقال الملك الوصي : لا أظنها ولدت أنثى ، فلنا أكثر من سنة نجلس على هذا التخت ، ولم تظهر امرأة أخي ، ولو أنها وضعت أنثى لظهرت في البلاد .. بل حتى أن أخي لم يرسل ابنتها معها .

فقال غضبان : هذا ما وقع في نفسي أيضا لابد أنها ولدت ذكرا .. دع الامر لي .. علينا أن نستمر بالقضاء على خصومكم باللين والحبس والعزل

***

هرب الامير حازم مع بعض رجاله وخاصته إلى بلاد الملك ماوا حاكم مدينة غيمة ، وهناك عن طريق احد التجار الذين كانوا يترددون على مدينة الشواهد ولهم علاقة كبيرة بالملك أوصله لمجلس الملك وشكى له ظلم عمه واغتصابه لعرش والده ، فرحب به الملك وبرجاله وأذن لهم بالسكنى في البلاد ، وحثهم على الصبر والتأني حتى يحدث الله لهم امرا ، واعرض عن مساعدتهم في غزو بلاد الشواهد للصداقة الكبيرة التي كانت بينه وبين الملك سماك ، وأن الملك زيدا ملك وصي ؛ وليس ملكا دائما وغير مغتصب لعرش . . وكان حازم كلما تسنح له فرصة بالجلوس مع الملك ماوا أو حاشيته يتحدث عن ظلم عمه له ولأمه ولجده بشوم مما حدا بالملك ماوا أن يقول له : أيها الشاب لا تفتري على عمك كثيرا .. لقد أرسلت من أتاني بأنباء بلادكم .. ونحن ماذا نستفيد ونجني من غزو بلادكم ؟! فهل نخسر فرساننا لإعادة الملك لأولاد سماك ، وهو قد حرمكم من حكمها .. فإما أن تسكنوا بلادنا بهدوء وأمان وإما أن تغادروها بسلام وخفية .

رفض الملك ماوا الإصغاء وسماع حازم الهارب ومسايرته في تحقيق احلامه وطموحه ، فأصابه اليأس والإحباط وجلس في المدينة يسمع أخبار عمه الملك ، فجاءته الأخبار بهرب أخيه قسيم من سجن عمه ، ثم تعرض ابن عمه زيد الأمير راهب للقتل ونجاته من موت محقق .. فتعجب ممن فعل ذلك وأحس أن انصار أخيه يتحركون بقوة وعنف ، وأن أنصاره

رضخوا وصمتوا وربما ناموا ويأسوا من تحقيق هدفهم ، فبكى وندم على عداوته لوالده الشيخ ولسماعه كلام ونصائح جده ومن قبله أمه كرام وأخذ يفكر بأخيه المجهول ابن ابنة الصياد .. ابن حورية الماء .. الأخ الخفي المجهول .

***

رغم سيطرة الملك الوصي زيد على مدن البلاد الثلاثة كان يلازمه شعور داخلي أن الامور تسير على غير ما يرام ومع تطمينات كاتم سره الأمير غضبان وصديقه الوفي منذ التقيا وتصاحبا .. ومع معرفته لقوة غضبان وحدة ذكائه ودهائه كان قلقا وخائفا على ملكه .. فهو قد تعرض للاغتيال وولده أيضا ، وقد هرب قسيم من السجن ، فهذا يؤشر ويؤكد أن لهم أنصارا داخل البلاد وإن كانوا قلة، وإن كل الجهد الذي بذل للفتك بهم لم ينقرضوا ولم يضعفوا ولسوف يتحركون في الوقت والظرف المناسبين .

حاول الملك الوصي معرفة أماكن استقرار ابني أخيه سماك ، فقد اضطربت الاقوال في ذلك فبعضها يقول " في غيمة " وبعضهم يقول " في باد " " وحوت " وسلباد " فجواسيسهم لا يعرفون أماكن اختفائهم بالضبط ..إلا أنهم خارج البلاد .. فهم لم يصلوا لمجالسهم وأماكن سكناهم ،هذا ما يؤكده عيون غضبان ، وهناك بعض الاشاعات تردد أنهم موجودون داخل البلاد وإنما أشيع هربهم لبحث جواسيس الملك خارج البلاد .. فالشك ما زال في قلب الملك الوصي ..فعيونهم في القصور لم ترهم فيها؛ لأن من اعتاد حب الظهور والبروز في المجتمعات يصعب عليه الاختفاء الطويل داخل القصور والاخبية .

لما تماثل الامير راهب للشفاء من الضربة القاتلة التي اصابته اراد الملك الوصي ارباك خصومه من عائلته وحلفائهم فطلب يد الأميرة زهرة ابنة أخيه سماك لوريثه راهب .

اعجب أناس بهذه المصاهرة ورأوا في فيها حقنا للدماء ورغبة الوصي بالمسامحة والعفو ، وبعضهم اعتبرها سخرية ومهزلة بعد اراقة الكثير من الدماء والسفك .. فتركوا الامر للأميرة زهرة .. وهي أصابتها الحيرة فهناك رسائل تأتي من أخيها قسيم يشجعها على الهرب من البلاد .. وجاء عرض الملك الوصي وبعد تردد قالت لهم : دعوني اتحدث مع الامير راهب ثم

أقرر المناسب .

فسيقت إلى الأمير الذي مازال يعاني من بعض آلام الغدر والاغتيال ، فلما رأته الاميرة اشفقت عليه وحزنت وظنت أنه يموت من قريب وإن ادعاءهم شفائه خدعة لإغرائها بالزواج منه .

تكلمت وإياه ثم سألته" لماذا اختارها من كل بنات المملكة ؟! المملكة المليئة بالأميرات والحسناوات " فما كان امامه الا أن يقول : " أبي يريد أن يقول العلاقة بيننا بعد هذه المحنة أو الفتنة طبيعية وحسنة ، ويرد بعض المعروف لوالدك الذي جعله وصيا على العرش ريثما يرجع أخوك المختفي من ابنة ذاك الصياد .. ابن حورية الماء ليكون سيدا للبلاد ، وايضا يا ابنة عمي لتهدئة النفوس ورفع الشحناء والبغضاء التي ألمت بنا ؛ ولتصل هذه الرسالة لإخوتك فيلتزموا ما التزم به الناس والامراء .. وعندما يعود ويظهر ابن حورية الماء ينازعونه الملك والسلطان ويأخذونه منه ".

ادركت الاميرة أن الامير تكلم بصراحة ومن غير لف ودوران ، ولابد أن في خلد والده وكاتم أسراره غضبان أمورا أخرى ، قد يجهلها هذا الفتى الجريح ،فطلبت منه مهلة للتشاور مع الاعمام والاخوال فقال الشاب : بعد أيام ثلاثة نسمع الجواب والقبول حتى يهدأ الشد والهياج الكامن في النفوس .. نفوس الاهل والعشيرة

فقالت : وانا مثلك حريصة على أمور البلد واستقرارها .

تشاورت الفتاة مع أمها مرة اخرى ومع الاقارب والاصهار فتركوا الامر لها مرة ثانية ، وكانت تنتظر رد قسيم على هذا الزواج ، وكانت لما طلبها الوصي لولده قد ارسلت له رسولها الخاص الذي رجع قبل انتهاء الايام الثلاثة برفض قسيم لهذه المصاهرة لأن الامير سيقتل كل اولاد الوصي زيد فهم قد اصبحوا أعداء له ولأنصاره .. فنصحها ألا تتزوج وتماطل خيرا لها من أن تصبح أرملة .

لما علمت بجواب قسيم زادت حيرتها وارتباكها ، فهي تعرف قسيما وجنونه وأن الذي يفكرون به سيحققونه عاجلا أم آجلا ، وتعلم أن الوصي زيدا ورجاله سيقاتلون باستماته عن الملك الذي اخذوه على طبق من فضة أو ذهب فكتبت رسالة طويلة بخطها لأخيها

واستمهلت راهبا أن يصبر عليها شهرا ؛ لأنها لم تستطع حسم الامر خلال الايام الثلاثة ، فدخل الريب في قلوبهم الملك وغضبان وأحسوا أن شيئا سيحدث خلال هذا الشهر ؛ ولكنهم رأوا الصبر والتريث لبث الطمأنينة في قلوب الخصوم .

فالأميرة رأت ما حدث لجدها القاضي ، ورأت هرب أخيها قسيم ، وصحة راهب لا تغري النساء ، فهو مازال ضعفه واضحا للعيان ، ولا يستطيع الظهور للعوام راكبا على الجواد ، ولكنهم كما ذكرنا يخشون من مكر يدبر بليل ، فشدد الغضبان عيونه واصحاب الخبر حول زهرة وقصرها وزوارها ، وكل هذا التحرس والتجسس لم يفت ابنة الملك سماك .

وهي كانت قد كتبت رسالة مطولة لقسيم ليرخص لها في هذا الزواج ربما استطاعت أن تخدمه فيه وتساعده في الوصول للتاج في أي لحظة ضعف تبدو من القوم ، ولم يطل للانتظار فجاءها رد قسيم سريعا وقال لها في رسالته : " انهم سيحبسونك في قصر كله جواسيس وعيون .. الخادم جاسوس .. الطاهي جاسوس ..الساقي جاسوس .. خدم حجرة النوم جواسيس .. الوصيفات جاسوسات .. الخروج برفقة حرس وجواسيس .. فهم لا يمكن أن يثقوا بك . . وإلا كانوا أغبياء وحمقى .. وافعلي ما شئت .. فأنا أرى أن هواك مع القوم ..ومع الامل في الوصول للتاج عن طريق راهب .. فإذا سبقتيني إليه .. سأكون أول رعاياك مبايعا ومسلما سيفي .. "

مضى الشهر وجاء الرسل والوسطاء يسألون عن آخر ما رأته الاميرة ، فأنهت اليهم موافقتها على الاقتران بابن عمها الامير راهب .. فأعلنت الافراح في البلاد ، وخلال أيام كانت الاميرة زهرة تنتقل إلى قصر الملك زيد .. الى قصر نساء الملك ؛ حيث تسكن نساء أبنائه، فهي ليست أول امرأة ينكحها الأمير راهب ؛ إنما كانت هي الثالثة .

ومع هذا الزواج استمر الهدوء المخيم على البلاد والعباد ، فزادت ثقة غضبان برجاله وحاشيته وقوته ، وظن الجميع بعد حين أن الاميرة زهرة هدأت وسكنت أحلامها بالملك وأن إخوانها سيرضخون ويعلنون ولائهم ويذهب شبح الخوف والقلق عن المدن الثلاثة .

كانت زهرة تكره عمها زيدا كرها حادا لمَ فعله بأخيها الهارب من السجن والعقاب ولإيذائه

جدها القاضي الكبير ولأمها كذلك ، ولكنها عاجزة وما زالت عاجزة عن الانتقام ؛ لأن أخويها مازالا يتصارعان على طلب الملك ، وإن هدأ حازم منذ اختفى ، ولم يعد يسمع عنه شيئا ، وكانت قبل زواجها على اتصال سري بأخيها قسيم الهارب ، وتتمنى أن يتمكن من الوصول للحكم ، ولكن بعدما فشل ورغب عمها بتزويجها من ولده البكر وارث أبيه .. فرأت أنها فرصة لتقترب من الحكم والتدخل في شؤون المملكة ومن عمها زيد ،وهي وارثة لراهب المريض منذ تعرض للقتل ، فهي لا تريد أن تدخل في صراع مع اخويها ، إنها تريد أن تصل للتاج بطريقة هادئة مهذبة على أن يتقبلها الشعب ويستقر لها الملك كما استقر لإحدى جداتها في الزمن الغابر ، فهي تحمل اسم تلك الجدة؛ فلعل الله يقدر لها ذلك التاج .

وكان يقلقها ويزعجها أن يقتل اخوها زوجها كما نبأها بذلك ، ثم تسلم امرها لرب العباد الذي يفعل ما يشاء ويقدر له ، بعد مضي أكثر من عام على الزواج ولدت الاميرة ابنها الاول الامير بشير ، فسر الملك الوصي بالمولود الجديد وزاد ثقة واطمئنانا لزهرة ، وأنها عادت امرأة وديعة هادئة لا مطمع لها بالسياسة والملك ، وكبر حبها في قلب الامير راهب زوجها العليل وزال الريب أو أكثره من نفسه ، وأحس أن الأميرة قد دجنت ، ولم تعد لها احلام بالملك وسياسة الناس ، والحقيقة أن زهرة لزمت الهدوء لترك الامر لأخويها حتى تتيقن من يأسهم في الوصول للتاج ، فأحلام الملك والسيادة ما زالت تتراءى أمام عينها وفي منامها .

وكانت تعمل بحرص وذكاء وحذر شديد ، فهي مدركة أنها محاطة بالعيون من الحرس والخدم والوصيفات والطهاة وحتى من ضرائرها .

حدثت في البلاد بعض القلائل من تعرض قوافل للسطو والنهب ، وحصلت قرصنة لبعض السفن في مرافئ البلاد ، ولكنها لم تؤثر على استقرار البلاد بشكل مزعج ، واعتبرت امورا عادية ، ولم تعجب هذه الافعال الاميرة زهرة واعتبرتها حركات يائسة وبائسة، فهذه المغامرات لا تؤثر على الملك وحاشيته . وبعد حين ولدت المولود الثاني الأمير رشاد ، وقد فرحت به ؛ ولكن احلامها لم تمت كما يظن الكثير ممن يعرفها ؛ إنما أجلتها إلى حين . ذات يوم قامت الأميرة بزيارة والدتها الأميرة منيرة وتناولت الطعام على مائدتها ، وكانت تقوم على

المائدة خادمة جديدة ، ولما عادت لقصر الملك الوصي ، كانت هذه الجارية التي تسمى " وداد " قد اهدتها أمها لها بمناسبة ولادتها للأمير رشاد ، وخصتها الاميرة برعاية الامير المولود من تنظيف ولباس ورعاية ..ومع أن اهداء الجواري كان امرا طبيعيا بين الناس وخاصة الاسياد إلا أن الغضبان شك في الأمر ، وأجرى تحريا سريا .. فوجد أنها جارية قد اشترتها الاميرة منيرة منذ حين يسير ، وأن الذي قام على شرائها قيم قصرها ، وقد احضرها من سوق النخاسة ..ثم اهدتها للأميرة زهرة بمناسبة الولادة الاخيرة .. فهي قد احضرت من سوق النخاسيين ككثير من الجواري والعبيد .. وهي فتاة دون الثلاثين خفيفة اللحم بيضاء البشرة ، وهي خادمة نشيطة في جناح سيدتها زهرة تقوم بواجباتها على خير ما يرام .. كسائر الخدم وليس بينها وبين الاميرة علاقات خاصة .

قبض على عدة عصابات ممن يتعرضون للقوافل فتبين للغضبان أنهم من انصار واعوان الامير قسيم الهارب ؛ ولكنه لم يتمكن من معرفة مكان اختباء الأمير ؛ إنما كان يزورهم في الجبال والمغارات ، ثم يختفي من حيث اقبل ، فتيقن لكاتم اسرار الملك أن المعركة لم تنته ، ولن تنتهي إلا بهلاك ابناء سماك ، ورغم استمرار شكه بزهرة ؛ فكان موقنا بصعوبة وصولها للتاج بوجود قسيم حيا ؛ وربما ترى أن وصولها للحكم عن طريق راهب زوجها اسلم .. لكن الامير قد لا يصل للحكم فربما الملك زيد اوصى لغيره .. آه .. وربما يظهر لنا ابن حورية الماء عندما يبلغ مبلغ الرجال . كان غضبان يعامل انصار ابناء الملك الراحل بقسوة وشدة ، ومع تحرياته المتتابعة وثقته بأعوانه فشل فشلا ذريعا في القبض عليهما ومعرفة اماكن اختبائهما ، وبينما هذه القضية تشغل قلب وبال الغضبان تعرض سجن كبير في البلاد لغارة كبيرة هرب على اثرها كل المساجين وحرق السجن .

صعق الملك الوصي وهو يسمع خبر ذلك السجن وتلك الضربة القوية ، ولام الغضبان على ضعفه ونومه عن الاعداء . فقال غضبان مكفهر الوجه : أنا مثلك أيها الملك فوجئت بهذا العمل الرهيب !.. فقد مضت خمس سنوات على جلوسك على هذا العرش والأمور تسير على أفضل حال .. ولكن لا تقلق أيها الملك فأنا سيفك المسلول على كل الاعداء.. رجالي لم

يناموا ؛ إنما كان هناك تدبير محكم .. مع الاسف الشديد يا مولاي لابد من سفك دم ابناء الملك سماك .. لابد من قتلهم ليضعف انصارهم واصحاب الطمع .. فهما لا يريدان الهدوء والاستسلام .. لابد أن تسمح لي بقتلهم .. حياتنا أم حياتهم ؟!

ـ دعني افكر .. فالأمر صعب يا غضبان ! .. أنا أريدهم أحياء أموات في السجن .. لا أريد أن يصير بيننا دم .. فالدم بيننا يحرق الاخضر واليابس .. قتل أحد أجدادنا في ماضي الايام .. فدفعت العائلة عشرات الانفس لتسكن روحه ..

ـ هم الذين حاولوا قتلك وقتل ابنك لولا عناية الخالق..

ـ دعني افكر ايها الامير ! أنا الملك فقتلي لهم غير قتلهم لي ولذريتي .

ـ لا يتأخر تفكير مولاي .. لابد من ارسال من يغتالهم ويخلصنا منهم .. فقتلهم اسهل من احضارهم وخطفهم .. فعجل أيها الملك في تفكيرك وردك !

كان الملك حائرا خائفا من الغيب فقال : إني أخاف الدم يا غضبان ولا ينفع الندم حينئذ .. فها أنت ترى قد اصبحوا أخوال أولاد الأمير راهب .. لو أن راهبا قتل ربما وجدت لنفسي عذرا بسفك دمهم بحكم الثأر .. فقتلهم سيدفع للقول أني أطمع بالملك وإنهاء الوصاية.. فزهرة قبلت براهب زوجا وبعلا وأنجبت منه ثلاثة انفر ..

قال الغضبان: ما زال في قلبي شيء نحوها .. فهي احيانا تتفوه بكلمات تهديد ووعيد وطمع في الملك .. ولكنها كما يقال مقصوصة الأجنحة .. وابتعد كل انصارها وانفضوا من حولها من بعد أن نكحت ابنك الأمير راهب ، فقد يئسوا منها ، فهم التموا حولها طمعا في المناصب والرتب .. فالخطر الداهم ليس منها ؛ إنما من أولاد أخيك ..وهي ليس من السهل أن تصل للملك واخواتها أحياء هاربين طامعين بالتاج ..ربما رضيت بأن تكون زوجة لملك المستقبل اذا شاء مولاي أن يجعل راهبا وريثه .. إن ما اخشاه منها المساعدة للغدر بنا من أجل أخيها قسيم فحسب .. هذا ما يجعلني اتابعها واراقبها لليوم ..

ـ اما زلت تحيطها بالعيون ؟!

ـ اجل يا مولاي ! لابد من ذلك .. لا احب أن تغفل عيوننا عن اعدائنا .. وسأعرف تفاصيل

دمار السجن وآتيك بالتفاصيل والاخبار الواضحة أيها الملك العظيم !

وخرج الأمير غضبان ، ثم دخل الوزير رفيق ومساعدوه ليتشاوروا مع الملك في ادارة العباد والبلاد بعد كارثة السجن العجيبة وفرار المحابيس ، فقال الملك : ما يقول رجالك ؟ فقد شرح لي غضبان بعض الشيء .

فقال: الحق أن كثيرا من رجال الحرس والشرطة قتلوا وحرقوا فلم نعرف من بقي حيا ، وأن له يدا في الجريمة وتعاون مع الغزاة ويعتقد أنهم أتوا من مدينة باد ..

فقال الملك : باد ! ـ قالها الملك بدهشة واستفهام ـ كيف علمتم ؟!

قال الوزير شارحا :يا مولاي الملك .. لما قام الجيش بالبحث عن الغزاة وجدوا جريحا في احد الطرق يموت ، فقال لهم انه من مدينة باد .. ثم مات .

فقال: باد !! لم يقل غضبان شيئا عن باد ؟!

ـ ربما لا يعرف بأمر الجريح .

فقال الملك : أكيد ، فهو فعلا لم يخبرني عن الجريح .. قلت إنه مات وهلك لم يقل غير باد .. ومن قتله ؟! وما الذي جاء به بلادنا ؟

ـ عندما سأله الجنود من أي البلاد انت ؟ قال لهم " من باد " وحشرجت روحه وصعدت لبارئها .. فألقوه في البحر وتابعوا البحث والتعقب .

قال الملك : كيف حكمتم أنه مع المهاجمين ؟!

ـ الجنود الذين رأوه وجدوه مثخنا بالجراح والضربات ..فكأنه خاض معركة .. فوقع لهم أنه من المحاربين وفر معهم ولكنهم لما رأوه يموت تركوه أو اعتقدوا أنه قد مات اذا اغمي عليه من الجراح والدماء التي فقدها .

فقال الوصي وهو يفكر بما نقل إليه من امر السجن المدمر والرجل الجريح : كنا نرى قسيما ذهب لغيمة .. فغيمة غربنا وباد شرقنا .

ـ ربما اشتبه الامر على الجنود يا مولاي الملك .. فنحن لما بلغنا الحادث حرك قائد الجيش بعض السرايا في اتجاهات مختلفة .. نحن نشرنا العفو الملكي عن قسيم وحازم واعوانهم شرقا وغربا

ومما يؤسف له أنه لم يتقدم إلينا احد لينال عفو السلطان .. فهم مصرون على العداوة والبغض.
فتنهد الملك بعمق وذرف بعض الدمعات وهو يقول بألم ولعله صادق : سامح الله أخي سماكا الذي حملني هذا العبء الهائل .. والذي يعاديني في هذا الملك ابناؤه .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. كان الملك سماك يعرف أبناءه حق المعرفة .. ولكنه اتعبني أيها الوزير !
ومسح دمعات تساقطت على وجنتيه متظاهرا أنه يحارب ويقاتل من اجل وصية سماك ، وأنه يقاتل مرغما ، فأخذ الوزير يخفف من حزنه وألمه فقال : لا توهن يا مولاي السلطان ! .. سيضعف كيدهم بمشيئة الرب .
فقال الوصي : يا وزيري ويا أيها الرجال ! .. لي خمس سنوات اصارعهم متحملا لهم ، وتزوجت أختهم من ولدي راهب لحقن الدم .. وأنا مستعد للزواج من أمهاتهم ليستسلموا ويتوبوا .. أليس مؤلما أن يقتل هؤلاء الناس والجنود والحرس من اجلنا ؟! ألا يستسلمون لوصية سماك ؟! .. فكيف لو ظهر ابن حورية الماء يطالب بعرش أبيه الملك الحقيقي للبلاد ؟! ما أنا إلا وصي ! .. لو ظهر أيها الوزير لابد أنهم سيقتلونه وينازعونه الامر !
كان الوصي يحب دائما أن يظهر أمام رجاله بالرجل المظلوم وأنه لولا وصية أخيه سماك ما رضي بالملك .. وأنه يقاتل مكرها أو مضطرا وأنه ينتظر عودة ابن الملك المختفي الفتى المجهول .. فهو يقتل ويسجن للوفاء بالعهد الذي أخذه على نفسه أمام السادة والقضاة والفرسان .. فيتعاطف معه السامعون ويتألمون لحزنه وضيقه وينشرون ما يرونه من حبه للرعية ورغبته الكبيرة بالسلام والصلح وأن أولاد أخيه هم الظالمون له بإثارة القلاقل والمعارك . وعندما يختلي بكاتم سره وذراعه اليمين غضبان يكشر عن انيابه ويحثه على الفتك بالخصوم وتعذيبهم .. فهم يخططون لبقاء الملك في سلالة زيد .. ولكن كما يمكر الإنسان للإنسان ، فهناك من يمكر لهم ويسعى لتدميرهم والخلاص منهم !

******

قسيم الهارب من سجن عمه زيد ما زال يقارع ويقاتل عمه وجواسيسه ، لم يهن ولم ينفض من حوله انصاره ، وغضبان رجل الوصي القوي ما زال يتعقب فلولهم ، ورغم الجهود الكبيرة

التي يبذلها هذا الرجل لم يصلوا الى الرجال الكبار الذين يعاونون قسيها للاستمرار في المعركة ، فمعركة السجن كانت معركة كبيرة ، قذفت الرعب في قلب الوصي ورجاله ، ولولا تشجيع الغضبان للملك ؛ لربما تنازل عن العرش وترك السياسة والحكم ، فهو منذ نعومة اظفاره كان بعيدا عن الحكم والسلطة والولاية ؛ لأنه لم يكن يحلم يوما ما ولو حلما أن يصير ملكا لبلاد الشواهد ، فسماك الملك ورث الحكم عن أبيه ، وكان يعتقد بأن ينقل التاج لأبنائه .. أما أن يختار وصيا .. فهذا أمر عجيب .. فتعجب الرجل من قدرة الله ومن قدره .. ثم زاد طمعه بالاستقرار الدائم على سدة العرش وأن يحذف عنه لقب الوصي .. فهو مازال يقال له عند الاكابر الملك زيد الوصي .. فهو نفسه لا يستطيع خلع هذا اللقب عن نفسه ؛ لأنه يحكم بالوصاية .. وربما لو هلك أولاد سماك الهاربين؛ ربما استطاع التخلص من الوصاية ؛ لأنه لو زاح الوصاية عن نفسه وهم أحياء سيثيرون الأقاويل عليه ، ويثيرون الشعب عليه والحاقدين ايضا . كان الوصي سعيدا بتدجين الاميرة زهرة وتزويجها من ابنه البكر ، فهي البنت البكر لأخيه الراحل ، وكان لها طموح ظاهر بالحكم ، وكان يعتقد بزواجها من ابنه بأن اخويها سيهدئان ويسلمان بالأمر الواقع بعدما اصبحوا اصهارا للملك الوصي .. ورغم هذا ذكرنا أن الامير غضبان ما زال حذرا منها .. فكان يرى أن الطمع في الملك والرئاسة ليس من السهل التخلص منهما .. فالنفس جشعة وتتطلع للأعلى والسيادة .. وهو يعرف أن سبب فتورها عن المطالبة بالتاج أخواها الحالمان بتاج أبيهما .. ورأى بزواجها من راهب أن ترضى وتقنع وتحلم بأن تكون ملكة مع زوجها راهب .. والايام تغير النفوس وتأتي بالجديد ؛ وكما هو معروف ومعلوم الأيام دول بين الخلق .

ست سنوات انقضت على حكم الملك الوصي ملكا حاكما على بلاد الشواهد ، واخطر حدث بعد فشل خصومهم بقتله وقتل ابنه كان حادث السجن .. من حرقه وقتل حرسه ؟ لقد فشل الغضبان ورجاله بالقبض على الاشخاص الذين حرقوا السجن وانقذوا من فيه من اتباعهم واهلكوا رجال السجن ..بعد هذه السنوات حدث في بلاد الشواهد حدث هزّ أركان مملكة الشواهد لسنوات .

كان من عادة الملك زيد أن يحضر للديوان مكان الحكم مبكرا صباحا فيخلو بكاتم السر الامير غضبان بعض الوقت ، ثم يدخل الوزير الاكبر والامراء واصحاب الحاجات ، فذات نهار حضر غضبان ووجد القوم في انتظار السيد الكبير .. فهو لم يأت كالمعتاد .. وبعد حين تململ الغضبان فقال للوزير الاكبر : سأذهب لقصر النساء فليلة أمس نام الملك عند نسائه .

رد الوزير : نحن بانتظاركم .. أسرع .

كان غضبان يظن وهو سائر لقصر النساء بأن الملك سهر ليلة امس فتأخر بالنوم ، فمشى نحو القصر وهو لا يبعد عن قصر الحكم كثيرا ، كان القصر هادئا فتحدث مع حرس الباب فقالوا " انه لم يخرج يا مولانا " . فسأل عن خادم غرفة الملك الخاصة ، فقيل له " خرج مبكرا عند الفجر ولم يرجع بعد " ، فظن الغضبان أن الملك زيدا أرسله في مهمة خاصة ، وهذا يحصل في بعض الاحيان فلم يستغرب الامير من هذا العمل .

فدخل وتحدث مع قيمة القصر وهي احدى الاميرات الكبيرة في السن فقالت له :جهزت الخادمات الطعام يا سيدي الامير .. ولكن غلام الحجرة الملكية لم يظهر فقيل لنا إنه خرج من القصر مع الفجر ولم يعد بعد .. وأنت تعلم أنه لا يجوز إيقاظ الملك إلا عن طريق خادمه الخاص .. ولما خرج الخادم من القصر ظننا أنه سيعود سريعا .. فننتظر حتى يستيقظ الملك من نومه ويدعونا .. وطال انتظارنا يا سيدي الامير ! .. ونحن في قلق فها هي الشمس قد ارتفعت ..

فقال غضبان : هل يمكنني أن اصل لغرفته واتحدث معه .. فالناس في الديوان قلقون لتأخره عنهم .. فهناك ضيوف ووفود قدمت لتحية الملك والحديث معه .

كان لا يسمح للرجال أن يدخلوا قصر نساء الملك .. فقط الخادم عيسى الذي يرافقه في تنقله بين قصوره حيث يرقد وينام .. وبعض غلمان القصور ينقلون الرسائل بين الاميرات وزوجات الامراء كأبناء الملك واحفاده .

استطاعت قهرمانة القصر أن تقود غضبان في ممرات القصر محاولة قدر الامكان تجنيبه اللقاء بأي امرأة ملكة أو أميرة حتى وصلت به الى الحجرة التي يرقد فيها الملك .. لقد كان من

الواجب أن يكون عيسى الخادم يجلس أمامها ليستأذن لمن يريد الدخول من النساء على الملك ولكنهم تذكروا أنه خرج مبكرا من القصر الملكي .. مكلفا بأمر من صاحب السلطان ربما رسالة هامة .

طرق غضبان طرقا خفيفا الباب ، وفي نفس الوقت كان يحاول سماع نفس أو صوت في الداخل فقال للعجوز : أمتأكدة أن الملك يرقد هنا لحتى الآن .

طرقت العجوز الباب وقالت وهي تحاول فتحه : مغلق ! .. هل اغلقه الملك من الداخل ؟! .. أم هل اغلقه عيسى واخذ معه المفتاح ظانا أنه سيعود سريعا ..وحدث معه طارئ ؟!

زاد غضبان من قوة الضرب على الباب وحاول فتحه بكتفه .. اصابه الرعب والخوف على حياة الملك .. أين الخادم اللعين ؟! ولماذا غادر القصر فجرا ؟!

دفع الباب بقوة فانكسر الباب من قوة الدفعة .. دخل وخلفه العجوز المضطربة .. كان الملك نائما على سريره الذهبي .. مغطى بالثياب الخاصة .. المصباح غير مشتعل ..الشمس تدخل من بعض الطاقات والكوات .. كان غضبان يتقدم نحو السرير وساقاه متوترتان مضطربتان .. أيها الملك الكريم !. وكان يقول بصوت كأنه مبحوح أو يخرج من بطنه : أيها الملك الكريم ! أيها الملك الكريم !..وكانت العجوز تزيح الستائر عن نوافذ الحجرة فملأ النور الغرفة وصل الغضبان إلى سرير الملك ، ولم يتحرك الملك ، ولم يرد عليه فقرب الرجل رأسه وأنفه من وجه الملك .. لا نفس يتردد .. رفع يده إلى أعلى وتركها ، وهتف محدقا في العجوز : إنه ميت !! أنه ميت أيها العجوز !!.. استدعي طبيب الملك .. ربما لم يمت بعد !!

دب الذعر في القصر لتهامس الخبر .. وسمع الصراخ في بعض الحجرات .. ولبى الطبيب الدعوة بعد حين يسير ليؤكد أن الملك قتل مخنوقا .. صدم غضبان للوهلة الاولى .. وردد اسم عيسى عدة مرات وتسأل : هل يستطيع ذلك المخلوق خنق الملك ؟ إنه رجل شيخ ..! "

انتشر الخبر في سرعة بين القصور والاقارب .. والكل لا يكاد يصدق بموت الملك الوصي .. ووصل لديوان الحكم ، تفجأ الوزير رفيق وبعض ابناء الملك .. والقاضي الاكبر فارس بن محمود وكبار الفرسان والامراء .. ثم اعلن للناس بهلاك الوصي زيد بيد الغدر والخيانة ..

وذهب الاتهام على الفور إلى الخادم الخاص عيسى .. إلى خادمه منذ زمن بعيد .. والكل يتسأل " هل حقا القاتل عيسى الخادم القديم ؟! ولماذا ؟! .

اصاب القوم الذعر والوهن ، ولما تمالك غضبان اعصابه جمع الامراء والسادة واعلنوا راهبا ملكا على البلاد والعباد ؛ لأنه الابن البكر للميت .. وقد تردد البعض في هذه البيعة الخاصة ولكن عندما خوفهم غضبان من الاضطراب والفتنة بايعوا واعلنوا للناس بيعتهم للأمير راهب خليفة لأبيه .. فتوج الامير المريض ملكا على مدينة الشواهد .. في جنازة مهيبة شيع الملك المخنوق .. وواروه الثرى .

واطلق غضبان رجاله يبحثون عن الخادم عيسى المختفي ، وادرك الغضبان ربما حينئذ قوة قسيم وانصاره رغم حادثة السجن الرهيبة .. ادرك أن الشاب يحاربهم بقوة وقسوة وجسارة فقد طوعت له نفسه قتل عمه بدم بارد .. فكان يرى أنه مصمم بالوصول للتاج .. وربما وقع في قلبه أنه سيصل إليه بهذه الجسارة والشراسة .. ولكنه أقسم لنفسه أن سيحرمه ويدمره ويقتله قبل أن يضع على مفرقه تاج بلاد الشواهد .. فزيد صديقه الوفي وهو الذي رفعه عاليا في بلاد الشواهد واعطاه سلطة اقوى من سلطة الملك نفسه .

وأخذ الامير الذي حافظ على مركزه وقوته بوجود راهب بن زيد وصيا وملكا ، يتابع البحث عن عيسى ومن جنده واقنعه للقيام بهذه المهمة الجبارة ..بل كيف استطاع خنق الملك فقوة زيد تفوقه عشرات المرات .. فزيد فارس وصياد ماهر .

عندما يتناقش مع أبناء زيد بهذا الموضوع يصيبهم الذهول ومحاولة معرفة الوسيلة التي استطاع فيها الشيخ من خنق زيد ..وفي نهاية الحوار يهز غضبان رأسه قائلا : عندما يقبض عليه الفرسان سنعرف الحيلة التي غدروا بها بالملك العظيم زيد بن صخرة .

ويأخذ بالبكاء ويذكر مناقب المذكور ، فيجاريه الاخرون ، فيتحول المجلس الى مجلس بكاء وحزن وندب . كانت جريمة مقتل الملك الوصي في بلاد الشواهد مرعبة ومخيفة ، فالوصول لحجرة الملك يدل على قوة الاعداء والخصوم ، وهذه أول مرة اصيبت المملكة بقتل ملك في قصره غيلة وغدرا ومن قومه ، فهذا الفعل الدامي سيزيد من حدة وشراسة المعركة بين اولاد

زيد واولاد سماك .. والملك المتوج على رأس البلاد راهب عليل البدن طريح الفراش اكثر وقته فمنذ طعن وهو يتجنب الخروج لخارج القصور .. فما زالت الالام والاسقام تدهمه بين الحين والاخر .

وبعد هذه الضربة عاود الريب للأمير غضبان من الاميرة زهرة ، فأعاد التحري عنها من جديد .. فلم يجد لديها ما يريب ويدفعها لقتل الوصي غيلة .. فهي منذ اقترنت براهب وقد انجبت له بشير ورشاد والاميرة رشا وحياتها ساكنه هادئة وإن يبدر منها ألفاظ في بعض المجالس تبدي رغبتها بالملك لتجدد عهد جدتها زهرة .. وأنه لولا أخواها لسعت إليه .

فلما هلك الوصي واصبح زوجها الملك الوصي فطمعت نفسها بالملك والجلوس على كرسي الحكم في مدينتها . وكان يخيفها للإعلان عن ذلك الطمع مقتل الوصي غيلة ، والكل يعتقد أن للأمير قسيم يدا في سفك دمه ، وما الخادم عيسى إلا منفذا للجريمة .

هي هذه الايام خائفة على زوجها أن يهلك على يد قسيم كما نبهها وحذرها في سابق الايام قبل زواجها من راهب ، وكانت ترى تحذيره شنشنة تعرفها من أخزم ..وأنه ضعيف يقول ما لا يفعل .. ولكن الوصول لحجرة زيد وخنقه اعاد لنفسها الرعب والخوف على راهب ، واولاده صغار فلن ينصبوا ملوكا ؛ بل أبناؤه من ضرائرها اكبر سنا وأشد عودا .. فاتصلت بغضبان صاحب الامر والقوة .. فقد منحه زيد الوصي قوة وسلطة لم يمنحها لأحد من رجاله وتركه راهب على ما كان عليه في حياة الوالد ..

فلما التقت به حدثته بصراحة بطموحها وحلمها ، وذكرت له ضعف راهب وعجزه عن الحكم لعلته ، وعللته بالمحافظة على مركزه وكل ما استفاد من الحكم إن ضمن لها الجلوس على العرش بعد موت الملك راهب .. فأعجب الفارس الرهيب من صراحتها ، وبعد نظر وجد أن مصلحتهما واحدة فقال لها : مصلحتنا واحدة كما ذكرت وأكدت .. وأنا اعلم الضعف الشديد للسيد راهب .. وأنا لا يمكن أن أصير ملكا ؛ ولكنني عندما أكون قريبا من الملكة ؛ فكأنني ملك .. وأنا اعرف أن خصومنا اقاربنا سيسفكون دم راهب في أي لحظة نضعف عن حمايته إن لم يمت من علته .. أتعاهدينني أن نبقى أوفياء لبعض وأصدقاء للابد ..

فعندئذ سأكون لك كالخاتم في اصبعك يا سيدتي .. وسيكون الحكم لك دون اخوتك .. دون قسيم ودون حازم ..فهم لن يرضى الناس بجلوسهم للحكم بعدما سفكوا دم عمهم .. فهذه غلطة كبيرة منهم لم يفكروا فيها جيدا .. فأولاد زيد كما تعلمين لن يصفحوا عن دم أبيهم .. ولن يدعوا ثأرهم .. فجلوسك على العرش الحل الأسلم ، فأنت ابنة سماك وزوجة راهب ابن الوصي زيد .. سيكون لك التاج هنيئا مريئا .

فعاهدته أن تبقى وفية له ، ولن تغدر به وسيبقى سيفها القوي ؛ كما هو سيف عمها وابن عمها بل وعدته بالوزارة الكبرى على أن يخلص لها .

فوافق على العمل معها وقال : علينا أن نصبر يا مولاتي الملكة حتى يرحل زوجك العليل بسلام .. وسأهيأ الأمر أمام الناس والسادة والفرسان .. وحتى لا تثار حولنا الاقاويل والاذاعات والشبهات سنبقى بعيدين عن بعض ريثما يصل العرش إليك .. فاطمئني فبمجرد رحيل الملك عن هذه الدنيا سأجعل الناس يسلمون بالحكم لك وأنك أولى شخص بالجلوس على عرش بلادنا حتى يظهر ابن حورية الماء .. فأولاد زيد سيرضون بك لأنك زوجه أخيهم وأولاد سماك سيسكتون لأنك اختهم .. ستكونين الملكة الوصية بإذن الله .

ـ أحسنت يا غضبان بدأت تطيع الاميرة زهرة بنت سماك حفيدة الملوك والملكات العظام .. فحيهلا !

قبل الامير يدها باسما وانصرف وهو يقول " لابد من هذه الصفقة ..لأنها اقوى الجميع اليوم فراهب لا يصلح للحكم .. ولكني رشحته دون اخوته ليكون خاتما في يدي .. بل ربما اصبح أنا ملكا في يوم من الايام .. ولكن لابد من قتل اخوتها .. ليستقر العرش ..فاذا مات راهب وتزوجتها يوما ما فسأصير السيد المطاع من ورائها.. فراهب سيموت قريبا .. وستصبح زهرة ملكة .. وأكون أنا حليف الملكة ..آه .. وزوجها .. رويدا رويدا سأتزوجها .. لو ورطتها بقتل زوجها ستسلم بالقبول والزواج مني .. لا .. اذا تعلمت القتل ؛ ربما تقلتني أنا الآخر .. فليمت على مهله !

٣

الحرب الخفية ضروس في مدينة الشواهد فما مضى على خنق زيد الوصي بضعة أشهر حتى اصاب راهب الألم والوجع ، فقد انفتح جرح الطعنة القديمة وعجب أطباء القصر من ذلك ، وادرك غضبان أن يدا ما وضعت سما لسيد القصر راهب ، قلب الشك في قلبه أن تكون زهرة تريد أن تعجل بموت بعلها .. وكان عند زهرة ريب أن يكون الأمير غضبان بعد الاتفاق السري بينهما فعلها .. فلزمت الصمت ، ولم تدقق وكذلك فعل غضبان ، فكلٌ كان يرى بموت وريث زيد الوصي الافضل والانسب له .

وكلما لملم الأطباء الجراح ، كان الوجع يعود إلى راهب حتى قضى ردحا من الزمن طريح فراش السقم ولا يستطيع الذهاب إلى ديوان الحكم ومقابلة السادات والضيوف والحكماء .. واذا تحسنت حاله بعض الشيء حمل على محفة لديوان الحكم فيقضي بضع ساعات متحاملا على نفسه حتى أن بعضهم طلبوا منه الاعتزال والعناية بصحته . وقبل أن يستوعب هذا الاقتراح وافته المنية ، فمات متأثرا بجرحه القديم .. وتم تشييع الملك راهب .. أصاب الناس الوجوم الرهيب وشاع القول بأن الملك مات بالسم، وأن الجرح لم يفتح إلا بتجرعه لسم .

وتردد غضبان بترشيح زهرة للحكم لظهور بعض الشائعات أنها وراء قتل زوجها وأبيه من قبل .. وظهر الانقسام في المدينة.. فقد رفض اولاد زيد اعتلاء سدة الحكم .. ورفض اولاد راهب من زوجات الأخريات ذلك أيضا .. فطرح غضبان اسم زهرة مذكرا بجدتهم زهرة وقال : ربما توفق في حكم البلاد كما حكمت احدى جداتها .

فاجتمع كبير القضاة فارس محمود والوزير الاكبر رفيق وامراء الجيش والبحر والفرسان وغيرهم من الأكابر للتشاور ، ولما قدم غضبان الاقتراح قبله البعض ، والذين رفضوه لم يشيروا لاحد ما .. وذهب وفد برئاسة القاضي للقاء الاميرة زهرة زوجة الملك وعرض عليها غضبان رغبة القوم بجعلها الملكة الاولى بدلا من زوجة ملك .

فتلقت تعزيتهم بوفاة الملك وتظاهرت بأنها قبلت عرضهم على شروط وهي أن يبقى كل منهم في منصبه ومكانه ، وكان كل قصدها من هذا الكلام أن يبقى غضبان في مكانه فهم

يعرفون قدرة وقوة غضبان ودوره في حياة الملك الوصي زيد منذ سبع سنوات وفي سنة حكم راهب . واعلن في البلاد والمدن الثلاثة أن الملكة زهرة ابنة الملك سماك بن صخرة هي الوصي على العرش حتى يعود الملك المعين للبلاد حسب وصية الملك سماك بن صخرة.

ودبت الحياة في انصار زهرة وعاد اعوانها يلتفون حولها وحاول بعضهم ازاحة غضبان ورفيق ومحمود واعادة القضاء لعائلة القاضي رسال ولكن الملكة قالت لهم " انها اتفقت مع القوم على أن يبقوا في مناصبهم وولاياتهم وحكمهم حتى تتصل بأخويها ويجري الصلح الكبير في البلاد اذا رحبوا بها ملكا عليهم .

وقبل أن تتصل زهرة بأخيها قسيم جاءتها رسالة منه يطلب منها التنحي عن كرسي المملكة وأن تمهد لعودته ليكون ملكا . فأرسلت إليه مخبرة له أن اولاد زيد الوصي واولاد زوجها يتهمونه باغتيال أبيهم وزيد الوصي وأن الملك لن يستقر له ، وأن بقاءها ملكة ربما يساعد في لملمة الجراح ويبرءهم من دم زيد الوصي وابنه .

وقبل أن تتلقى الرد اعلمها غضبان بأنهم مسكوا خادم غرفة زيد في احدى قرى الصيادين متظاهرا بأنه صياد وابن صياد ، وقد أنكر قتله للملك زيد فقالت زهرة بدهشة : أصدقته ؟ ومن قتل عمي الملك إذن ؟! ولماذا هرب ؟!

قال غضبان : صدقته ، الخوف سبب هربه .. أتحبين سماعه قبل أن نتهمه بالقتل ؟

تعجبت الملكة مما سمعت وقالت : صدقته !! وتريد أن تتهمه ؟!

قال : صدقته ؛ لأنه جبان لا يجرؤ على خنق الملك ، واتهمته ؛ لأنه وضع نفسه موضع اتهام وهرب

ـ أتقتل بريئا ؟!

ـ لن نقتله فورا ايها الملكة .. سنلقيه في السجن بضع سنين .. فهو في نظر الناس القاتل للملك زيد

ـ ولماذا هرب ؟ لماذا لم يبق ؟!

ـ يدعي أن احدهم أخبره بموت الملك قتلا ، وحثه على الهرب قبل أن يأتي موعد صحيان

الملك ويتهم بالجريمة والإثم .

فقالت: أحدهم ! ومن هو أحدهم هذا ؟!

قال الغضبان: يقول " إنه كما هو معلوم للجميع أن مهمته البقاء امام غرف نوم الملك كحاجب وخادم ، فبعد نصف الليل أحس بمغص شديد ، ويظن أن احدهم وضع في الشراب مادة منومة ، فغلبه النوم بعدما رقد الملك وقبل الفجر ايقظه شخص مقنع وهمس بإذنه بأن الملك قتل وطلب منه الهرب والنجاة بجلده ؛ لأنه لن يصدق أحد بأنه لم يقتل الملك وابتعد الشبح وتركه في رعب وخوف لا يتحمله انسان .. دخل غرفة الملك بعد تردد ووجده مسجى ولا نفس له فاغلق الحجرة وخرج من القصر متظاهرا امام الحرس بأنه في مهمة ملكية ولما ابتعد عن القصر خلع ملابس القصر ، ومشى شبه عاري ، ثم لحق بقرية الصيادين متظاهرا بأنه صياد كاد أن يغرق فسبح حتى الشاطئ .

فقالت بقلق ظاهر : من إذن قتل زيدا يا أمير غضبان ؟! من هو الشبح الذي خنق الملك واسقى هذا الخادم المخدر ؟ .. قصر النساء لا يدخله رجال إلا غلمان صغار ، ولما يكبرون سنا يرحلون الى قصور اخرى .

ـ هذا ما يحيرني ! ولو أن الحارس رأى رجلا يدخل لذكر احدهم فأنا لي جواسيس بينهم .. بدأت اشك في رجالك أيتها الملكة ..أمعقول أن إخوتك لهم هذه القوة بيننا ؟!

وفاجأت الملكة الأمير قائلة : جاءتني رسالة من اخي قسيم

ـ جاءتك رسالة !!

فقالت: مالك دهشت ؟! يريدني أن اتخلى له عن العرش وأن اعود لحجرة نومي وأنه سيجد لي زوجا جديدا بعد أن حذرني من الزواج من راهب

ـ اين الرسول ؟

ـ غضبان لا تحاول معرفة الرسول حتى لو عرفته لن تنال منه شيئا .. هو لا ينقل الرسالة مباشرة منه .. تسلسل رسل .. وأنا طلبت من أخي الصلح وحاولت اقناعه ببقائي ملكة خيرا له ، ومصلحة لنا وأن أولاد زيد وراهب يحملون دم الوصي وابنه

بعد صمت قاتل قال غضبان :أيتها الملكة صارحيني ألك يد في قتل الملك الوصي زيد ؟

ـ ابدا أيها الأمير وأقولها لك بصدق ، ولست خائفة منك، ولولا أن إخوتي وقفوا ضدي لتحديت زيدا قبلهم .. فزيد قتل من قبل أعدائه ؛ وربما يكون له أعداء في الداخل ، وليس إخوتي فقط

ـ والملك راهب ألك يد في هلكته ؟

صاحت : ويلك أتريد أن تقنعي أنك لم تدس له السم ؟

قال الغضبان: لا ، لم اقتله ، كنت اعتقد أن هلاكه عاجل لضعفه وسقمه ، والله ما دسست له سما ولا سعيت لقتله .

ـ ويلك أتشك بي ؟!

قال الغضبان: أنا وقع في نفسي ذلك ؛ لأنه ما كدنا نتفق حتى دب إليه الوهن وانفض الجرح القديم

ضحكت زهرة وهمست : وأنا شككت فيك وقلت أن غضبان بدأ ينفذ دوره

ـ اذن كلانا لم يقتله أيتها الملكة!

ـ أنا صادقة ؛ ولست خائفة ، ما سعيت إلى قتله .. مهما يكن من طمعي في الملك والتاج فهو والد اولادي يا غضبان .. ماذا أقول لهم عندما يكبروا ؟!

تنهد غضبان عميقا ورد : الذي يفكر بالحكم والسلطان لا يرى اولاده ولا يرى الرحمة في قلبه فأنا اليوم أخشى عليك من القتل .. فهم لهم رجال في القصور بيننا .. الخدم والغلمان تثير القلق عندما تتحدثين معهم تحسين بسذاجتهم وجهلهم ولما تحدث الأحداث تحسين أنهم يلعبون أدوارا كبيرة .. هذا الخادم الهرم ازعجني الآن موقعه ..فعمله بسيط ولكنه مخيف.. يقتلون الوصي ببرودة اعصاب ويضعونه في رمية السكين ، ويدفعونه للهرب لتلتصق التهمة به، فتعاون مع أعداء الوصي

ـ أتنازل عن العرش لقسيم ؟

ـ وهل يرضى اولاد زيد الوصي .. فهم يتهمون بجريمتي قتل أبيهم وأخيهم

فقالت: سيبقى الملك في اضطراب .. الناس يريدون ملكا قويا يرعاهم ويحافظ على املاكهم وبيوتهم .. دمرت البلاد يا امير غضبان

ـ لن يستقر الملك بقسيم بعد ما حدث في البلاد ما حدث حتى لو وضعت يدي بيده .. أنت تنسين أبناء زيد الوصي وأخوه حازم فهو طامع في الحكم .. فأنت خير من يحكم هذه البلاد

فقالت : أنا احب الحكم من زمن أبي .. وها هم أنصاري عادوا يلتفون حولي ؛ ولكنه ملك مخيف .. ومن دخل لحجرة زيد يستطيع دخول غرفتي ؟

ـ لو قضبنا على أخيك ألا يستقر الملك ؟

فقالت: ربما يحدث ذلك ؛ ولكن أنصاره أخرجوه من السجن ، وقبل موت زيد حرقوا السجن بعدما اخرجوا رجالهم .. فأنا لا يهمني قسيم ولا حازم إنما الصراع سيضعفنا ويزيدنا وهنا على وهن .



٤

لما تلقى قسيم رسالة زهرة جمع حاشيته وقال لهم : هذه ممن سمت نفسها ملكة ترفض التنازل عن الحكم ؛ بل تحالفت مع غضبان عدونا الاول .. تريد البقاء ملكة .. واهل زيد وراهب يتوعدوننا .. وهي اختي ولا تطاوعني نفسي لسفك دمها .. فأمي ستموت كمدا لو فعلت .

احتار هؤلاء الاوفياء لقسيم وقال احدهم : لو لم تقبل الملك لما اعتلى على العرش حاكم فأخوة زيد وأولاد راهب رفضوا الكرسي؛ بل الذين تحفظوا على اخت الأمير قسيم عفوا الملك قسيم ـ ينادونه بينهم بالملك من باب الفأل الحسن ـ لم يرشحوا احدا .. فاضطر غضبان أن يبايعها ويجعلها ملكة وصية ؛ بل وصلتني أنباء عن طمعه بالاقتران بها ..وينتظر مرور سنة على موت راهب .. فهو طامع بالملك عن طريقها .. ورجالنا لليوم لما ينالوا منه ، فهو يحيط نفسه بحرس شديد ، وكلهم أقارب وأخوة فلا يثق بالعبيد والخدم .. فهو الرجل القوي في بلاد الشواهد .

قال قسيم لأعوانه : علمت برسالة خاصة أن الملكة تريد الخروج من القصر .. ونحن لم نفعل شيئا للوصول للعرش أيها الأسياد فما العمل ؟

أجاب احد الزعماء : الجيش ما زال مواليا لمن يجعلونه حاكما ، وكذلك رجال البحر .. لم ننجح في تهيجهم للانضمام لثورتنا.

طال الحوار والنقاش بينهم وقال لهم في نهايته : سأعود للملك حمدان قد يوافق على إرسال حملة عسكرية معي .. فأخلع زهرة وأعلن نفسي ملكا على البلاد .. سأذهب إليه واحدثه بما صنعنا وأن الجيش والحرس على ما هم عليه ، لا يرغبون بالدخول في معارك حول العرش؛ فكأنهم ينتظرون ذلك الغلام المجهول .

ودع قسيم رجاله وركب البحر شمالا إلى ملك جزيرة حمامة ، ولم يكتب لزهرة شيئا ، فهو يعرف طمعها هي الاخرى بالعرش، ولابد أن انصارها وقد وصلوا للحكم بدون قطرة دم فرحين ومستعدين للدفاع عنها باستماته .. والذي يحيره حقيقة علاقتها بغضبان .. وكان يقلقه أيضا ظهور الأخ الخفي ابن حورية الماء بعد فعله كل ما فعل من قتل وحرق .

وبعد ايام دخل على الملك حمدان وقبل الايادي وقص ما فعله اعوانه وأنصاره على الملك ، ولما سأله عن ابنته قال : ما زالت جارية في قصر الملكة زهرة تنتظر جوابا في البقاء أو العودة اجتمع حمدان بقادته وكبار فرسانه ، فوافق بعضهم على إرسال حملة لاحتلال بلاد الشواهد واجلاس قسيم عنوة ملكا عليها . فارسلوا رسالة لوداد جارية زهرة للعودة للبلاد ، ولم يمض شهران حتى عادت وداد لمملكة أبيها وقد قامت بدورها بكل قوة وشجاعة .. فهي التي صرعت الملك زيد وابنه كما رسمت مع قسيم الذي لجأ لأبيها الملك وتزوجها على أن يصير ملكا لبلاد الشواهد ، وهي معه فقامت بدور الجارية التي اشتراها قيم قصر أم قسيم وهو احد الأنصار ، فلما صارت عند النخاس ذهب ، وتملكها بسرعة ومعها بعض الجواري لأم قسيم ثم اهديت لزهرة ، ثم وصلت لقصر الحريم ، فخدرت عيسى خادم الغرفة الملكية، وخنقت الملك ، وهو نائم ، وهي التي امرته بالهرب والاختفاء حتى لا يتهم بقتل الملك، ثم صنعت شرابا للملك الجديد حتى تجدد سقمه ، واستمرت في دس السم في الشراب حتى استوى وضعف جسمه ولحق بأبيه .

ولما رأت وداد تعقد الامور في الشواهد ، واعتلت سدة الحكم زهرة وأن قرينها لم يفعل شيئا ولم يظهر في البلاد احبت أن تعود لشخصيتها كأميرة وزوجة .. رحب بها قسيم وشكرها على جهدها وشجاعتها في قتل عمه الوصي وابنه راهب .. وقد تزوجها قسيم عندما لجأ لجزيرة حمامة هاربا من سجن الوصي واتفق مع الملك على أن يعينه إلى الجلوس على حكم مدينة الشواهد .. ووجد ذلك حماسا وشوقا لدى الملك ..وكان يطمع بامتداد ملكه لبعض المدن البرية الملاصقة للبحر وكانت الشواهد من اقربها لجزره .

فبعد عودة الاميرة المتنكرة للبلاد اخذوا يكملون تجهيز الحملة لغزو بلاد الشواهد .. استعد عشرة آلاف فارس للغزو وجعل نسيب الملك قائدا للحملة ونائبا له احد الفرسان المشاهير في المدينة .. انطلقت الحملة إلى سواحل بلاد الشواهد ، ورافقت الأميرة زوجها قائد الحملة .. وخلال ايام تم النزول على الشواطئ ليلا قبل انكشاف امرهم ..فاحتلوا الساحل من جهة شرم الخزنة من الجهة الشرقية ، فدب الرعب والخوف في المدينة ثم سرى لغيرها من المدن ..

وكتب قسيم رسالة للملكة زهرة وسادة المدينة يدعوهم للسلم والتسليم وأنه سوف يحكم البلاد شاءوا أم أبوا .

رفض غضبان والقادة الإذعان والابتزاز ، وقامت معركة كبيرة على سواحل المدينة ، فقد رفض الجند والقادة هذا الغزو ودافعوا بقوة وبأس شديد ودحروا الغزاة وردوهم للبحر بعد خسارة كبيرة فارين إلى جزيرة حمامة، فصعق الملك حمدان للهزيمة النكراء التي حلت بجيشه وأقسم بالرب المعبود ليغزون بلاد الشواهد وينتقم منها اشد الانتقام ويبيحها لجنده ثلاثة ايام يعيثون فيها فسادا . وأما قسيم فعند الهزيمة اختفى عند اعوانه في المدينة حيث الجبال بين الخزنة ومدينة باد وقد تعرض لعدة اصابات وزوجته معه وقالت له باكية " إن قومك لن يسلموا لك الملك بسهولة .. وأبي سيغضب للهزيمة وقد يأتي بنفسه لمحاربتهم "

ولم يكد يتعافى من جراحه حتى سقط هو وزوجته في قبضة رجال غضبان ، وفرح الرجل فرحا كبيرا بصيده السمين وقال له " سأحرقك أنت وهذه اللعينة.. لقد وقعتم اخيرا "

فضحكت الأميرة وقالت " لا تفرح إن أبي قادم بجيش عرمرم .. سيحرق بلاد الشواهد بكل مدنها وعن بكرة أبيها "

انتشر خبر القبض على قسيم في البلاد طولا وعرضا ، وكانت الأخبار تأتي من جزيرة حمامة بأن ملكها يجهز جيشا آخر اكبر من الاول لغزو بلاد الشواهد .

كان الأمير غضبان متشوقا للفتك بقسيم ولو غدرا .. فقد خسر عددا مهما من رجاله في هذه المعمعة ؛ ولكنه اليوم صهر الملك حمدان فقتله أمر لا يستهان به .. فهو لا يريد امتداد الحرب للمدن والممالك الاخرى فتخرج عن نطاق السيطرة وتعم الفوضى .. ووضع الرجل في السجن امر خطير فقد سعى انصاره قديما بإنقاذه وحرق السجن في عهد الوصي زيد .

تحدث مع زهرة في شأنه فطلبت منه أن يبقي على حياته فالأمور تطورت فقد دخلت مملكة حمامة في آتون الحرب . والملك حمدان مشهور بمغامراته وتعديه على الجزر الاخرى وسواحل المدن ، علم حمدان بأسر ابنته وزوجها فكتب رسالة حادة شديدة اللهجة مكتوبة بالدم للملكة زهرة وغضبان يأمرهم بإطلاق الاسرى جميعهم .

فارسل إليه غضبان وفدا لتهدئة الحال وأن يكف عن الاعتداء على بلادهم مقابل العفو عن ابنته وختنه .. قابلهم الملك حمدان وسمع الرسالة من الرجل القوي غضبان وأن جيش بلادهم لم يقبل الاستسلام والخضوع لحاكم من غير بلادهم .

******

ملك جزيرة حمامة يمت بصلة قرابة لقسيم فهو من أبناء عمومة القاضي رسال ، فلما قبع قسيم في سجن الوصي زيد ارسل القاضي رسال رسالة سرية للملك حمدان يناشده فيها السعي لإنقاذ حفيده بما بينهم من صلة الدم .

وحمدان ملك يهوى المغامرة والتحرش ويحب الظهور والبروز على ملوك ذاك الزمان فقبل المهمة والشفاعة ، فعاد الرسول يطمئن القاضي لصلة القرابة بينهم وسينقذه ويزوجه من ابنته فرحب رسال بذلك وارسل رسالة شفهية لقسيم بهذا المعنى فرضي بمصاهرة الملك حمدان وارسل الشاب رسولا سريا للملك حمدان يعلمه بالموافقة على الزواج .. وارسله حمدان بدوره للأميرة وداد يخبرها بقبوله الاقتران بها بعد نجاته من السجن .

فقام أعوانها مع أعوان الأمير بتهريبه من السجن الى جزيرة حمامة وتزوج من الاميرة ، وفرحت به ووعدته بتحقيق آماله في مملكة والده .. وكانت ترى في أول الامر اثارة القلاقل والشعب على الملك زيد قد يضعفه ثم تبين لها أن الشعب غير مهتم بمن يحكمه من اسرة الملك سماك فالرجل يحكم باسم سماك وما هو إلا وصي .

فرتبت حيلة للوصول لقصر زيد وفعلت ما يعرفه القارئ، وما يدل على قوة قلبها وجسارتها وحبها للمغامرة واقتحام الاهوال .. ولما اوردت زيدا المهالك واتبعته بابنه ، فلم تجد لدى الشعب استعدادا لقبول قسيم ملكا عليهم ، وأن الاتهام الاول وجه له وإليه ، واصبح في نظرهم قاتلا لعمه مجرما مع أنه لم يثبت عليه شيء إلا الظن والتهمة .. فقررت ترك دور الجارية بعد أربع سنوات .. واخذوا يفكرون بالاستيلاء على الحكم بالقوة .

وفعلوا ذلك كما رأينا ؛ ولكنهم هزموا هزيمة ساحقة اصيب فيه قسيم وأسر ومعه زوجه .. وظهر أن جيش بلاد الشواهد مازال قويا ومتماسكا ولم يتأثر بالصراع الدائر بين الأمراء

والرؤساء ، ولم يسمحوا للغزاة بدخول بلادهم ، وقويت زعامة غضبان وزهرة وهو يساهم على حياتهم لمنع حرب اخرى .

شاور حمدان سادة قومه وفرسانهم الكبار ، فرأى بعضهم لابد من الانتقام لمن قتل من رجالهم ولإخراج المئات من أسراهم وعلى رأسهم قسيم وزوجته ابنة الملك .. ولما سئلوا كيف ؟ لم يجدوا حلا . فمعركة جديدة متعجلة لربما لا تحقق لهم ما يرجون من النصر وامتلاك بلاد الشواهد ، فهي بلاد كبيرة وكثيرة الخلق ، وهم يحاربون من البحر وأولئك من البر.

فعرض بعض خواص الملك الدعوة لقسم بلاد الشواهد إلى ممالك بين الأمير قسيم وزهرة وأحد أبناء زيد أو راهب ، طرب حمدان لهذا التقسيم وأعجبه لو قُبل .. وهل يقبل غضبان الرجل القوي الصنديد بهذا التقسيم للبلاد مقابل الاستقرار والهدوء ؟.. وذكروا أن هناك أخا ثالثا اسمه حازم ، وأنه اختفى وليس له حركة ، فلابد أنه يحلم بالتاج كغيره من أبناء سماك .. وذكر الابن المختفي ابن حورية الماء ، وهو المسمى ملكا شرعيا للبلاد ، وسيظهر في يوم الايام مطالبا بحقه الشرعي .

وبعد فكر عميق قال حمدان : الأمير حازم غير ظاهر فهو قد قنع بالبعد والسلامة .. والامير المجهول عندما يظهر يقضى عليه .. المهم أن ترضى زهرة بإعطاء شقيقها ثلث المملكة .

دون حمدان اقتراحه لفرض السلام بتقسيم مملكة الشواهد بين المتصارعين في رسالة لزهرة وغضبان وإلا الحرب والقتال . تلقت زهرة الخطاب والتهديد وتشاورت مع غضبان ، فجمع رجال الدولة والحكم للتشاور فتركوا الامر له فاجتمع بأولاد زيد وراهب فقالوا : دم أبينا برقبة قسيم .. يعترفون أولا بالغدر والجريمة ، وبعدئذ نتشاور ونعفو ونقبل بالدية في الوصي وابنه راهب .

أرسل غضبان لقسيم السجين بأحد أبناء زيد ، فأبى أن يقر باغتيال الوصي وابنه وقال :إنني اكرههما وابغضهما ؛ ولكنني لم اقتلهما . ولما ذكر بمحاولة الاغتيال انكرها ايضا ، وذكر أن له أعداء آخرين ؛ فليس كل من يقتل أن اعوانه قتلوه ونالوا منه .

فذكر له اقتراح صهرة لتقسيم البلاد الى ثلاث دول فقال : هذا ليس الحل الافضل واقترح أن

يكون لها ملكا واحدا ولكل مدينة ملك خاص .

ولما لقيهم غضبان قالوا له : لم يعترف بجريمته .. ودم أبينا لن يذهب هدرا .. وأنت أولى الناس بالمطالبة بدمه .. لأن حمايته من واجباتك الأولى.

حثهم على الصبر إلى حين حتى تستقر البلاد والملك ، ثم يتخلصون من قسيم وزوجته ، ومن كل رجالهم ، فلم يرتاحوا لهذا الغدر السافر ، وذكروا حازما ، والابن الغائب ، وأن في التقسيم خطرا على البلاد فتصبح الدولة ضعيفة ، ولقمة سهلة للغزاة والطامعين .. وقد تكون هذه حيلة من حمدان ؛ ليصل بها قسيم لحكم البلاد كلها .

قال غضبان بعد كلام الحاشية واهل الوصي وابنه : الجيش لن يقسم، فقد فكرت بحيلة حمدان سيبقى الجيش تابعا لمملكة زهرة ؛ ليكون صمام أمان للجميع .. فالملكة زهرة راضية بالقسمة لحقن الدم وعلى أن يبقى الجيش لها .. ومهمة حماية المدن الثالثة تعود للجيش .

ارتاح اولاد زيد الوصي وزهرة لهذا الاقتراح ، وأما قسيم فقد رفضه وقبله حمدان ووافق عليه وطلب الافراج عن قسيم وابنته وأسرى الجزيرة .. واقنع قسيما وابنته بقبول هذا التقسيم المؤقت ، وبعد حين يسعى بالدس والحيلة لضم باقي المدن بإضعاف حكم شقيقته وجيش بلاده ومع الزمن يحكم كل بلاد الشواهد ويتخلص من غضبان ورجاله الاشداء ... وأن الحرب لن تحقق احلامه لقوة جيش بلاد الشواهد جيش متماسك جيش يحارب في البر ، والبحر يلعب لصالحهم دون خصومهم .. اقنع قسيم نفسه بأفكار عمه .. وأنه لن يحارب من جديد من اجله .. وجرت المفاوضات على تقسيم بلاد الشواهد إلى ثلاثة ممالك لكف الحقد وحقن الدم بين أسرة الملك سماك بن صخر .. فكانت المدينة الحزينة لزهرة وهي المدينة الرئيسية ،وقسيم يحكم شرم الشفة ، ويختار ابناء زيد احدهم ليحكم سلة الملك .

ولما كملت الاتفاقات والمعاهدات بين افراد الأسرة الكبيرة عرض غضبان نفسه كزوج على زهرة ، واقنعها بذلك حتى يسد الطريق على أي طامع أو محتال .. وبعد تردد وافقت الملكة على الاقتران من غضبان . ولما ظهر ذلك للعلن حدث هرج ومرج في البلاد خاصة أن التقسيم لم يطبق على ارض الواقع بعد ، ولكن غضبان بسعة حيلته والإقناع وأنه بذلك يقطع حبل

الطامعين والمتآمرين وخاصة قسيم وحمدان .

تزوج غضبان الملكة وأكد لها أنه ما زال لها حليفا ، وأن حياته مرهونة بحياتها.. فوجدت منه فارسا مغوارا وصديقا مهما قد خبرته من أيام الوصي .. وتصالح قسيم مع اولاد زيد ووعدهم بالمساعدة على كشف قاتل عمه .. فرضوا بالوعد ولزموا الصمت .. وتوج قسيما على المدينة الشرقية وسعد بن زيد بالمدينة الغربية وقبل بأن تكون تابعة لزهرة وغضبان .

ومضت سنة على هذا التقسيم ولم يرتاح الاهالي لهذا التقسيم فحدثت الفتن والقلاقل المستمرة والمتقطعة ، وكان قسيم يؤجج نارها ويزيدها احتراقا ؛ ليصل البشر فيها أنه لا يصلح لها إلا ملك واحد .



لما علم الأمير حازم بن سماك مآل بلاد الشواهد ارسل رسولا لأخيه قسيم يطلب منه العودة والحياة في كنفه .. فتردد قسيم بتلبية طلبه وخشي أن يفسد عليه آماله وأحلامه ، وأن تحدثه نفسه بالملك ، وبعد تشاور وتردد كما ذكرت رضي قسيم باستقراره في مدينته ، وأن الرجل سكن ، ولم يحرك ساكنا خلال السنوات الماضيات ، فقنع بالهدوء والسكون ، وترك الطمع بالحكم والكرسي الملكي .. فرجع وحده لينظر البلاد والحياة فيها .. وكان قانعا هادئا .. فلما لم يجد انصارا وحليفا يسانده لزم الهدوء .. وقد رحب به الملك ماوا ولم يشجعه على التمرد .. وكان يخشى من العودة للبلاد في حياة الوصي خوفا من الاغتيال والغدر .. عاد إلى قصر أمه ابنة الوزير بشوم فوجدها زوجة لأحد السادة ، وأنها ولدت ولدين الأمير سلمان والامير داود احدهما ابن خمس سنوات والآخر ثلاث سنوات .. ولامته أمه على ضعفه وسكوته عن الطلب للتاج الملكي فقال : يا أمي لم أجد حولي انصارا واعوانا اشداء وملكا يساعدني .. فقسيم وجد انصارا والملك حمدان صهره .. وقومك خذلوني .. واخوال قسيم نصروه جهرا وسرا .. ويئست من الحكم .

حثته على العمل على تجنيد الانصار خفية لحين يضعف فيه الاقوياء فيصير ملكا . استخف الشاب بدعوة أمه وقال : لنا سنون في بلاد ماوا وكل من حولي وشد أزري ابتعد وانسحب ..

وليس لديّ أموال لأجذب الموالين والذمم .

سعت لتأجيج قلبه المكلوم وتقوية طموحه إلى التاج ، فلم تجد أذنا صاغية ، وعندما حدثها بزواجه في بلاد الملك مايا وأنه يفكر بجلب الزوجة والابن منها .. ولما علمت أنها من بنات العامة وليست أميرة ضاقت منه ، وطلبت منه بتركها هناك ولا يحضرها ؛ لأن سادة البلاد سيسخرون من زوجته ومنه عندما يعلمون أن ابن الملك سماك يتزوج فتاة عادية من عامة الشعب . فذكر لها قصة زواج أبيه من ابنة الصياد .. فغضبت من دفاعه وسخطت عليه وقالت بقهر " وهو لليوم يعير بها أيها الأمير "

فأجابها قائلا : ابنة الصياد! جعل زوجك الملك ابنها خليفة له دوننا .. الناس تخلت عني .. من يزوج ابنته لأمير هارب ؟! أي أميرة تقبل بي ؟! أي أميرة تقبل بالفقر ؟ أنت لم تهتمي بي وبرأيي عندما تزوجت .. وقبل ذلك عندما هربت ؟!

تشاجر الأمير المسكين مع أمه وغادرها غاضبا ، وسعى لمقابلة الملك قسيم وشرح له قصة زواجه ، وطلب منه السماح له بإحضارها وولده منها للعيش معه .. ولما علم قسيم أنها من بنات العامة وليست أميرة استشاط غضبا منه هو الآخر ، ولامه على هذا الزواج وقال " ابن سماك الملك العظيم ينكح فتاة معدمة .. أنا لم جاءني رسولك تطلب الحياة هنا خفت منك ومن غدرك .. أما الآن فأنا مطمئن أنك لا تفكر بتاج تضعه على مفرق رأسك .. ادركت أنك ضعيف ولا مطمع لك في حكم بعد اقترانك بتلك الجارية ..

ـ تركت الحكم لكم يا سيدي فأذن لي بالعيش معهم

فقال: ابن سماك الملك يتزوج من بنات العامة !

ـ أبي تزوج من ابنة صياد

فقال: إنك تحاكي أبوك .. والله هذا عار علينا .. أنا لا أحب أن يقال أخ الملك قسيم تزوج من امرأة لا اصل لها ولا عشيرة ..فلتبق هناك يا حازم

ـ تطلب مني الرحيل إذن

فقال: أنا لو خبرت من تزوجت لما أذنت لك بالقدوم إلينا

ـ حسنا يا ابن أبي .. عليّ بالرحيل !

فقال: افعل ما تشاء .. أو دعها وتزوج أميرة من أميرات البلاد .

ـ أتزوج أميرة وأنسى زوجتي وابني !

فقال: تزوج ، ثم تفكر بأمر تلك المرأة .. طلقها يا أخي الأمير وخذ ابنك منها

ـ رضيت بي هاربا مختفيا .. ولما أصبحت أخا الملك أتخلى عنها

فقال: إنها امرأة من الشعب .. ليست من الأشراف ، وهذه سبة يا حازم كما تعلم .. فنحن الامراء والملوك لا يجوز أن نتزوج بنات الشعب .. ألم تر ماذا حل بأبيك لما نكح ابنة صياد ؟! سخط الامراء والفرسان

طلب حازم من أخيه الامهال في التفكير ، فعاد لقصر أمه محزونا على حاله وهوانه ، وأخذ انصاره القدامى يترددون عليه ويدعونه لاجتماعات خاصة فيرفض ويعتذر بأنه صرف نظره عن التفكير بالحكم والملك ، وأن المملكة قسمت ثلاثة أقسام وهي ليست بحاجة لقسم رابع .

ذكرنا أن قسيما وأعوانه طفقوا يحركون ويهيجون العامة ضد النظام والانقسام واثارة الشائعات حول تقسيم المملكة ، اجتمع غضبان زوج أخت الملك قسيم بقسيم ونبهه وحذره صراحة مما يثيروه اعوانه من قلاقل وتعديات وأن النار اذا اشتعلت ستحرق الجميع وتهدم كل البنيان .. فتظاهر قسيم بالغضب والسخط من اعوانه وادعى ضعفا في مساعدة الشرطة والعسس في حماية المدينة والتجار .

مضت سنتان على تلك القسمة الثلاثية للمملكة الشواهد ، والأمور لا تسير لصالح قسيم وطموحه بضم الممالك الأخرى لحصته .. فالغضبان امامه بالمرصاد واخته لا تعاونه وهي مسرورة وسعيد بأنها ملكة .

الأمير حازم لم يتكمن من اقناع أخيه بجلب امرأته وابنه للحياة في بلادهم ، فرحل إليهم واستقر ضيفا على بلاد الملك ماوا ، وصمم على الاستقرار ونسيان بلاد الشواهد .. وقد سمح له قسيم وغضبان بأخذ ماله وميراثه من أبيه سماك للحياة الطيبة في بلاد غيمة ..ورحب به ماوا ضيفا عزيزا في مملكته .

ذات يوم دخل رسول من مملكة مدينة باد على غضبان دافعا له رسالة من مليكه سمعان وكانت رسالة تهديد ووعيد ، والسبب أن رجالا من الشواهد اعتدوا على قافلة تجارية تخص تلك المدينة ونهبوها وقتلوا عددا من رجالها وحرسها.

غضب غضبان ودخل على الملكة بكتاب سمعان فانزعجت الملكة من الخبر والجريمة ، فهذه أول جريمة من عهد بعيد ، فكلف غضبان رجاله بالقبض على اللصوص والعصابة المعتدية التي فعلت هذه الجناية البشعة والشنيعة ، فعجزوا عنهم فارسل غضبان اعتذارا للملك سمعان وأنه حقق في الأمر ، ولم يقبض على احد من بلادهم ، وسيرسل له أمير الشرطة وبعض اعوانه لمشاهدة افراد العصابة الذين بين يديه ؛ ليسمع أقوالهم وحججهم حتى لا يكون بينهم مندس صاحب غرض وفتنة .

قبل سمعان العذر وحرص غضبان على السلام والأمان بين البلدين ، وجمع وفد غضبان برجال القافلة الناجين وجرحى تلك العصابة الأسرى ، فلما اجتمع مع الملك سمعان بعد التحقيق قال : بصراحة يا مولاي اظن انهم من بلادنا .. ولكن بلادنا اليوم ثلاث ممالك .. وهناك قوم يسعون للفساد بيننا .. فمنذ عشرات السنين السفن والقوافل تتنقل بين بلدينا في كل السلام والأمان . ووعده باستمرار البحث والتعقب لهذه العصابة لمعرفة دوافع هذا الاعتداء السافر وتقديمهم للقصاص العادل .

ورجع أمير شرطة غضبان وبين له أن المهاجين من أهالي البلاد ؛ وربما يكونون من رجال قسيم واعوانه

قال الغضبان: هذا الشاب لا يريد الاستقرار للبلاد .. وأنا صاهرته ليعقل ويقنع بنصيبه ويترك شقيقته بسلام .

ـ الملك سمعان حذر من خطورة الامر .. ومن تكراره وأنه عوض القافلة وأهليها ودفع ديات الضحايا .. وأن تكرار الاعتداء سيؤدي لحرب لن يقبل قومه بالصمت الطويل

قال الغضبان: هذا ما يسعى إليه الخصوم .. يبدو أن نبوءة سماك ستتحقق وتتفتت المملكة .. فدع رجالنا أن يكونوا دائما على حذر وحرص.. فالبلاد مقبلة على شدائد من قسيم وانصاره

رغم أنه خال ابني من أخته زهرة فأخشى من فقد أعصابي وعقلي وأثور عليه .. فزهرة تقول إن زوجته ابنة حمدان هي التي كانت تخدمها عندما كانت في قصر راهب .. أهدتها لها أمها .. فهي تعتقد أنها كانت متنكرة لغرض ما ؛ وربما لها الدور الأهم في قتل زيد الوصي وابنه .. ولما فاتحتها زهرة بتلك الشكوك انكرت وقالت " أيعقل أنا ابنة الملك حمدان أتنكر على صورة جارية لقتل زيد الوصي .. هذا جنون أيها الملكة ! .. ربما جارية أشبهت صورتي "

ولما بحثنا عن تلك الجارية وكيف جاءت وجدنا أنها اشتريت فعلا من أحد تجار العبيد وبعد هلاك راهب اختفت ونسي أمرها .. ولكن هل يمكن لأميرة أن تقوم بدور جارية خبيثة لتقتل بالخنق والسم ؟!..هذه الأميرة إن صح هذا فهي خطيرة جدا ! .. ضع هذا السر في قلبك يا صاحبي (الخطاب لأمير الشرطة سلمان) الملكة وردة بنت حمدان جارية كانت تسمى ودادا!

ورغم الاحتياطات التي أنشاها غضبان واعوانه الاشداء تكرر الاعتداء على القوافل السائرة إلى بلاد سمعان أو الخارجة منها .. فقام سمعان باحتلال مدينة خرم الخزينة بدون تحذير ، وهرب قسيم لمدينة الحزينة زاعما أنه لا جيش عنده ليدافع عن المدينة .. ارسل غضبان مفاوضين للملك سمعان وليحدد شروطه للخروج من المدينة ، فكان شرطه الوحيد استلام قسيم ليحاكم في بلاده ، فأصابت الحيرة غضبان وزهرة فقال قسيم لهما " اذا اردتم تسليمي لعدوي فأرسلوني للملك حمدان والد وداد .. فهو سيدافع عني وعن ابنته "

فاعلم الملك سمعان بهذا ، فرفض إلا أن يسلم إليه وإلا الاستمرار بغزو بلاد الشواهد .. وتضايق الناس في شرم الحزينة من عساكر سمعان وثارت مشاكل متعددة ومتكررة بين الجند والاهالي وكثر القتل والغدر ، وأخذ الناس بالرحيل إلى المدن الأخرى لضعف الأمن والحمايات .. تقابل غضبان بسمعان وحدثه بالمشاكل التي تعصف في البلاد وانقسام مملكة الشواهد لثلاث ممالك ورغم كل الحجج والاعذار التي وضعها غضبان بين يدي سمعان أبى إلا أن يسلم إليه قسيم ليحاكم في بلادهم أو الحرب .

كان غضبان لا يريد الحرب ؛ لأن هذا ما سعى إليه قسيم وأنصاره ، فاجتمع أهل الحل والعقد وخيروا بين الحرب أو تسليم قسيم فقال بعضهم " نسلمه ونرسل لعمه أن ينقذه أو نرسل له

ابنته لتشرح له الحال "

فانفذوا رسالة لحمدان ، وسلموا قسيما لسمعان الذي ساقه أسيرا ذليلا لبلاده .. وكان الرجل يكاد ينفجر من الغيظ والقهر ، ورأى أن تدبيره عاد لنحره .. وسخط على اعوانه وانصاره فاقسم بأن يقتل غضبان الذي حرمه من جيش أبيه ليدافع عن نفسه "

ارسل الملك حمدان رسالة تهديد لملك باد وطلب منه تسريح الملك قسيم قبل قراءة الكتاب والاعتذار له، وأنه صهره زوج ابنته ، واعلمه أن جيوشه زاحفة لبلاد باد .. لم يكترث سمعان بهذا التهديد والزعيق وطرح الأسير في السجن ؛ ليحاكم امام القضاة بالإفساد في الارض وقطع الطرق بواسطة أعوانه ولصوصه .

وادعى أمامهم أنه بريء ، وأن زوج أخته غضبان مكر به ؛ ليتخلص منه شريكا في الملك فقال القاضي " ثبت لدينا أن رجالك هم الذين تعرضوا للقوافل اكثر من مرة ، وأنهم نهبوا وسرقوا وقتلوا ."ثم قضى عليه بالسجن في بئر عميقة عشرين سنة فاسقط في يد قسيم لهول هذا العقاب .. فكان الموت خيرا منه .



٥

ولما علم غضبان بما حكم على قسيم ومن تهديد حمدان لملك باد أمر الجيش بالسيطرة على شرم الحزينة وطرد انصار قسيم منها ، وكذلك الحرس الذي ارسله له حمدان والد الملكة وردة ، أعاد توحيد البلاد في مملكة واحدة تحت حكم الملكة زهرة بنت سماك ، وكان يقول لنفسه " عشرون سنة سجن ستقضي على حياة قسيم " .. حاولت زوجة قسيم التحدي فقال لهم أمير الجيش " اذا لم تسكتي سنطردك من هذا القصر وتعودين لأهلك " فلزمت الصمت بعد هذا التهديد الصريح ، وقد كتبت رسالة عتاب لغضبان فشجعها للعودة إلى بلادها ؛ لربما تيسر لها زوجا آخر فمدة حبس قسيم في بلاد باد طويلة .. فسكتت على مضض وكتبت لوالدها الملك بما حل بها من هوان ، وكيف اخرجوها من الحكم بدلا من زوجها حتى يكبر ولدها من قسيم ارسل الملك وفدا لزهرة الملكة في هذا الشأن فأرسلتهم إلى الأمير غضبان ، فكتب إليه أن صهره سعى إلى إشعال الفتنة في البلاد ، ولقي جزاءه فلم يعد بنا حاجة لثلاث ممالك .

فدست وداد برسالة للملك سمعان متهمة غضبان بسبب المشاكل والاعتداء على القوافل ليتهم قسيما ويعيد ضم الممالك من جديد .. فأجرى تحقيقا سريا بعد أن دخل الريب على قلبه وقال " ربما تكون هذه الوشاية صادقة " ثم ترك التأكد منها للأيام ، فالظواهر بينت أن لقسيم اليد الطولى في الفساد والعبث ، وأخذ يستعد لحرب حمدان .

ولما رأت ابنة حمدان فشل مسعاها لدى سمعان ، واصم أذنيه عن رسالتها ولم يحرك ساكنا دست رسالة لغضبان تتهم زهرة بأن لها عشيقا منذ أيام الملك زيد الوصي .

استغرب غضبان لهذه الرسالة الخطيرة والوشاية الكبيرة ، فمن ارسلها ؟! لم يعرف مرسلها اعطيت للحرس على أنها رسالة من أحد الدواوين، فاستقبح ما فيها من اخبار واجتمع برجاله المندسين بين رجال القصور فجاءت الاخبار أن الملكة لها علاقات خاصة برجال من الامراء والفرسان . وخشى مفاتحة الملكة بذلك الشك والريب أن تطلقه ، فهي الملكة وهو يحكم ويرسم باسمها ؛ ولكنه لا يرضى بأن يكون جاهلا وله شريك أو اكثر في فراشه وإن كانت ملكة ، ولم يصل لحل فجاءته رسالة اخرى تثير الشك وتؤججه في نفسه وذكرت له

اسم احد العشاق من أيام الوصي زيد .

فعجب بمن يعرف هذه المعلومات ؟! هل هي جارية حاقدة ؟ غلام غاضب على سيدته الملكة ؟ يعرف كل هذه الأسرار ولا يعرف أنه سيموت لو عرف اسمه وشخصه .. صحيح أن سيدة البلاد تحب الترف والحفلات والنزهات في حدائق القصور ، وأنه هو الذي يحكم ويرسم ويجلس مع كبار الضيوف والزائرين والعساكر .. إنه يعرف الاسم الذي ذكر في الرسالة .. إنه أمير كبير ، وهو ابن أمير البحر الفارس سنان ..هو ماجن معروف في البلاد ، وله بعض الغواني المعروفات ..أيعقل أن يصل ليصبح عشيقا للملكة زوجة غضبان .. وغضبان معروف بشراسته لأهل البلاد الصغار والكبار .. وعشيق منذ الملك الوصي .. سأبعثه في حملة بحرية لاحد الجزر للبحث عن اعداء لنا .. وهناك يصرع ؛ ولكنه قد يكون بريئا وسيغضب والده غبار .. وهو أمير محبوب من رجال البحر ومسموع الكلمة ومخلص للعرش . هو حائر بالطريقة التي يتبعها في مراقبة الملكة زهرة.. هو يعلم أنها امرأة لعوب تحب اللهو والعبث منذ حياة الوصي زيد .. وسلمته زمام كل شيء للتفرغ للهوها وعبثها .. وتذكر أن الرسالة الاولى ذكرت أن لها اكثر من عشيق ، وهو لا يراها في الأسبوع إلا مرة واحدة .. تأتي للديوان ساعة من الزمن ، ثم تنصرف .. وينام معها ليلة واحدة في الاسبوع ؛ وربما اعتذر عنها .. ويقضي لياليه مع زوجتيه الاخريتين وأولاده منهن شبابا وفرسانا .. أيكون لزوجته عشاق دون علمه ؟! .. فهذا اكبر اهانة لفروسيته وقوته .

وبينما الأمير حائر بشكه جاءته رسالة من الملك سمعان تطلب المساعدة على محاربة الملك حمدان الذي يحشد جيشا ضخما للقضاء على باد ؛ وربما تطمع نفسه بالشواهد اذا انتصر عليه .

ارتبك غضبان وعرض الامر على رجال الحكم والسادة فذكروا أنهم في صلح مع حمدان .. وهؤلاء يعيشون في جزيرة داخل البحر فمن الصعب الوصول إليهم إلا عن طريق البحر وحروب البحر قاسية وصعبة وجيشهم يحسن الحرب في البر والسواحل .

ارسل وفدا يسمع من سمعان خطر حمدان على البلاد والصلح القائم بينهم فقال لهم سمعان : اذا انتصر علينا سيحتل بلادكم ويجعل قسيما عليها ملكا .

فعادوا لغضبان بذلك التحذير، فقرر المشاركة في الحرب ، واشهر الحرب على حمدان ملك جزيرة حمامة .. فلما خبر حمدان هذا التحالف ضده كتب لباد مطمعا لهم في خيرات الشواهد وغزوها وتقسيم خيراتها بينهم وسيعطيه حكمها نكاية بغضبان وحاشيته وسيأخذ قسيما معه إلى جزيرته . رفض سمعان هذا الغدر الصريح .. والتقت جحافل الجزر البحرية مع جحافل المدن الساحلية عدة جولات ، وكان حمدان يقود الجنود بنفسه ، واستمر القتال عدة اسابيع دون أن يظهر أحد على الاخر .. ولم يكن هناك نصر كبير .. وتعبت الجيوش كلها .. فاتفقوا على الصلح شريطة أن يطلق سراح صهر الملك قسيم من سجن سمعان .. فقبل قوم سمعان هذا الشرط بعد أن كثر الموت في صفوف الجميع ، ووافق سمعان على ذلك على أن يذهب معه إلى جزيرة حمامة ، ولا يعود لحكم شرم الحزينة .. فقبل حمدان بذلك الشرط ولما انفصلت الجيوش عن بعضها وبدأت تعود لمدنها .. طلب حمدان من غضبان اعادة قسيم لمملكته وتقسيم البلاد فقال غضبان " إن سمعان سيغضب اذا ارسل لي بالموافقة سلمت له ما كان " رفض سمعان هذا الغدر .. فساقه حمدان معه الى جزيرة حمامة ، وأخذ ابنته وردة ، وعاد بمن بقي حيا من جيشه لجزيرة حمامة ، وهو حزين لفشله في تدمير مملكة الشواهد وباد .. فمكث اياما ثم قضى نحبه مقهورا مغموما .

فبايع القوم ابنه عصاما ملكا عليهم ، وأخذ الرجل يلملم جراح الجزر التي يحكمونها وخاصة حمامة .. لقد خسروا الكثير من الرجال وإن لم يهزموا هزيمة كاملة .

وشاع في البلاد هم الثأر والانتقام للقتلى فوعدهم الملك الجديد بحملة قوية لتلك المدن . أما غضبان فبعدما عاد الهدوء للبلاد بعد هذه الحرب الشرسة عاد للشك في حياة زوجته الخاصة وكذلك بخطر قسيم الذي خرج من السجن ، وسيعود للمطالبة في الحكم والذي لن يهدأ قبل أن يثأر منه ..فقد زاد العداء بينهم ..فغير غضبان من نظام حياته فقرر قضاء كل الليالي في قصر الملكة زاعما لها أنه غضب من زوجتيه ، فشكت زهرة بهذا العذر، وعرضت عليه السعي بمصالحتهن فقال " دعيهن حينا من الزمن .. أريد أن أعيش بجوارك " وكال لها من الكلام المعسول والحب والغزل فكانت تضحك منه وقالت : ويحك نحن متزوجون من سنين .. فما

ألم بك؟.. كنت لا تأتينا في السبع إلا ليلة .

قال : انتهت المشاكل والهموم

ضحكت وقالت : المشاكل لا تنتهي والهموم تتجدد .. فقسيم حر طليق ، ولن يغفر لك اخذ مملكته فاحذره

ـ اني دائم الحذر يا مولاتي

فقالت : اذاً ما الذي جدد الحب والشباب لقلبك ؟ .. أنسيت أنك شيخ ؟ وأنا رضيت بك زوجة لتتحد قوانا ويطمئن بعضنا لبعض .

قال الغضبان: هذا حق.. وأنت زوجتي وأم بعض اولادي

فقالت : أولادك مع المربيات اذا كان لديك شيء تخفيه عني فقله دون لف ودوران

قال الغضبان: لا شيء إلا الحب والشباب والعشق

ـ حسنا ! سنرى هذا الشباب اعلم يا غضبان لو جئت بشيء خطير سأسحقك

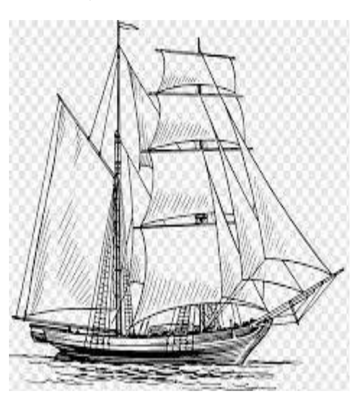
قال الغضبان: كل هذا لأنني اريد البقاء بقربك .

فقالت : هذا ليس من عادتك؛ فلابد أن احدهم وضع في قلبك شيئا ؛ ربما زعم لك " ان لزهرة عشيقا أو عشاقا "

تظاهر بالسذاجة والبساطة: احدهم ! من هو أحدهم ؟

ـ جارية قديمة كانت عندي .. قتلت عمي وزوجي وتريد قتلك اليوم

قال الغضبان: زوجة قسيم وداد وردة ؛ ولكنها رحلت إلى بلادها



٦

عادت المخاوف والشكوك لغضبان من غدر زهرة وما هو إلا مجرد زوج ، وهو لا يرضى أن تكون زوجته فاجرة ، وهو لا يستطيع التأكد من الاتهام ؛ لأن فشله معناه التخلي عنها أو الدخول معها في صراع ؛ ولولا قوته الظاهرة للعيان لاختفى منذ عهد الوصي زيد .

وزهرة حذرة من هداياه وجواريه وخدمه، ولا تقبلهم منذ عهد ابن الوصي راهب .. ومع قضاه اسبوعا لديها لم يثبت لديه شيء ، ولم ينف عنها الاسبوع شيئا ، واعتذر عن الكثير من سهراتها وحفلاتها الخاصة بحجة البقاء معها .. استدعى على خدمه الابالسة خادما اسمه نواس وصارحه بشكوكه في الملكة ..فوعده الخادم بالخبر اليقين خلال ايام .. ونبهه الأمير من الوقوع في الخطأ وأن تعرف الملكة مهمته .

غاب نواس فترة وجيزة عاد يقول لسيده " لها علاقات وصداقات كثيرة مع رجال البلاط من فرسان وامراء ومحظيات .. ويسهرون سهرات طويلة يلعبون ويلهون ويمزحون .. ولها صداقة عميقة بالمسمى سنان .. ولكن لم أر علاقة ما بين رجل وامرأة.. وزوجته الأميرة تصاحبهم غالبا "

اشتاق غضبان لمعرفة من ألقى الحجر في الماء الراكد ، ويشعل النار في فؤاده وطلب من خادمه نواس الاستمرار في مهمته الدقيقة والذكية وحثه على الفطنة والحذر . وبينما غضبان يصارع الشك في خيانة زهرة له جاءت الاخبار أن عصام بن حمدان يستعد لغزو بلاد باد والشواهد لإرضاء شعبه الغاضب على ما قتل من أبناء الشعب في المعركتين الماضيتين فقال غضبان " ما دام قسيم عندهم ووداد سيبقى الشعب ثائرا على قتلاه وجرحاه "

ثم جاء الخبر الخطير أن عصاما استطاع إنشاء حلف كبير مع عدة ملوك لجزر كبيرة والاتفاق على تقاسم بلاد الشواهد وباد .. فالتقى غضبان بسمعان امام الخطر الداهم وجددوا الحلف والدفاع عن بعضهم البعض وارسلوا لملك حوت للتحالف معهم فاعتذر عن هذه الخطة ، واعتذر عن الدخول في حرب لم يشهد أولها .

ذهب وفد لجزيرة عصام يعرف سبب تجدد العداء ، فلم يُرد على الوفد بشيء ، ولما عادوا

لبلادهم وصل وفد من الملك عصام يدعوهم إلى الاستسلام والخضوع لحكمه مقابل العفو عن حياتهم ، وذكرهم بثأره عندهم بقتلهم الكثير من فرسانهم .

لم تفلح المفاوضات بوقف المعركة ، وأخذت تزحف إلى شواطئ المدن جيوش الجزر البحرية المتحالفة ضد مدن السواحل ، ونزلت تلك الجيوش الكثيرة بين حوت وباد ، ولما كمل وصولهم بدأت الحرب وطال القتال وضعفت جيوش باد والشواهد وتقهقروا لداخل باد وحوصرت المدينة بضعة أشهر حتى ضاق الناس بالحصار وقبلوا بالاستلام لشروط ملوك الجزر الثلاثة ، وسلم باد نفسه للملك مسعود ملك جزيرة سعدة فسيق اسيرا هو وأسرته ووزيره وبعض سادة المدينة إلى جزيرة سعدة وطلب اهل المدينة الأمان والخضوع للملك مسعود . وتحرك قسيم الذي ناب عن عصام في هذه الحرب نحو بلاد الشواهد ليخضعها لحكم ملوك الجزر ، وحاول غضبان التفاوض مع الملوك الاخرين دون قسيم فلم يوفق فتراجع الى مدينة غيمة . واستسلمت المدينة للجيوش الغازية وقد انسحب اكثر الجيش مع غضبان واحتلت الجيوش المدن الثلاثة ، وحدثت فوضى ونهب وحرائق وقتل ، وحاول قسيم حفظ بعض القصور ، فرفض مسعود وخالد ملك جزيرة الوردة .. وقسمت أموال المدن المغنومة بين الجزر الثلاث ، وتشاوروا على الاستمرار في متابعة غضبان أم الاكتفاء بما نالوا من نصر .. فخشوا طول المسافة بينهم وبين البحر فرضوا بالتوقف والكف عن زهرة وغضبان ومن هرب معهم أو دونهم .

واخذ خالد مدينة باد وجعل عليها نائبا عنه ، وقسمت الشواهد بين حمامة وسعدة ، وسعى قسيم لأخذ الشواهد كلها ليحكمها باسم حمامة ؛ ولكن مسعودا رفض التنازل عن حصته .. وترك مسعودا شقيقا له نائبا على حصته من بلاد الشواهد ، وغادر لجزيرته سعدة مسرورا سعيدا بمغامراته تلك . واعلن قسيم نفسه ملكا على حصته ، وانه نائبا للملك عصام شقيق زوجته وردة التي رحلت بدورها إلى قصرها في شرم الحزينة .

حاول غضبان بعد حين إقناع ملك غيمة ماوا في تحرير بلاده الشواهد فرفض الملك الدخول في هذه الحرب وأنزلهم في بلاده وأعطاهم الأمان .

سكتت الحرب ردحا من الوقت ، ثم اخذ الناس بالتمرد على حكامهم ، ثار اهل الشواهد على شقيق مسعود وقتلوه وقتلوا انصاره ، وهرب قسيم في الوديان والجبال ، وأقام الثائرون حاكما عليهم ممن ثاروا على حكم الأغراب ، واسمه شهروان وجعل أصحابه مساعديه والتف الكثير من الشعب حوله . ولما سمع غضبان بهذه الاخبار فكر بالعودة لبلاد الشواهد فقال له ماوا " اذا خرجت فلا تعد الينا .. فالملك مسعود لن يغفر لهم قتل شقيقه فأنصحك بالتريث وانتظر عاقبة مقتل أخ مسعود "

ولما علم خالد بمقتل رجاله في باد اخرج سمعان من السجن واتفق معه على السلام وقبول خراج سنوي منه ، فقبل سمعان هذا الشرط وعاد لمدينة باد ، ورحب به الشعب الثائر واعترضوا على الخراج ، وكان ذلك امام مندوب الملك خالد واعتبر سمعان نفسه اسيرا للملك خالد ؛ لأنه لا يستطيع اجبار الشعب على الدفع .. فارسل خالد جيشا لغزو مدينة باد وعزل الشعب نائب خالد وأمروه بمغادرة البلاد ، واستمرت الثورة بزعامة الثائر "نسيم البحري" احد الصيادين وتصدوا لجند خالد واوقعوا فيهم خسائر كبيرة اجبرتهم على العودة للبحر، ثم العودة لبلادهم خائبين فغضب الملك خالد منهم ومن خيبتهم فتمردوا عليه سخطا وقتلوه وعددا من أسرته واعوانه ، ونصبوا زعيما منهم حاكما على المدينة وتوترت الامور في جزيرة الوردة على إثر مقتل الملك ، وانقسمت البلاد بين المتمردين وانصار الملك المقتول وبعد حين استطاع العقلاء من تهدئة الاحوال واتفقوا على الصلح وعدم التدخل في شؤون الجزر الاخرى فقد جر عليهم الغزو الانقسام والحرب الاهلية .

ولما استوعب الملك مسعود ما اصاب الوردة من مقتل خالد تردد في العودة لبلاد الشواهد وخشي من انقلاب اهل القتلى عليه كما حصل في الوردة ؛ ولكن المقتول شقيقه فارسل حملة إلى بلاد الشواهد لرد الكرامة ولكنهم منوا بهزيمة شنعاء .. واتصل مسعود بعصام لعمل حملة كبيرة لتأديب المدن الثائرة .. فتردد عصام لم سمع من حال جزيرة الوردة .. وخشي أن ينتقل الثوار لبلاده .. فقد احس بتمرد يجري من تحت قدميه بسب هذه الحروب وموت الكثير من اهل الجزيرة .. فقد رأى أهل بلده أن غزو تلك المدن لم يعد عليهم بالثروة والأمان فقد

تعرضت قوافلهم للثوار فنهبوها .. وحكامهم هناك ضعفاء لا حول لهم ولا قوة .. فاعتذر عصام للملك مسعود .

رجع قسيم الهارب ووداد لجزيرة حمامة بعد حين من الوقت ، وقد نجو من الثائرين عليهم ، وسعى لإقناع الملك بغزو جديد وانتقام ، فبين له الخطر المحدق بجزيرته وما حل بجزيرة الوردة من صراع وموت ومقتل الملك خالد . واخبره أن الشعب ثار ورفض الخضوع فمن الصعب الاستمرار والاستقرار بين الاعداء فقال قسيم بغضب " أيبقى أولئك الثوار حكاما لتلك البلاد ؟!"

رد عصام بغضب كذلك : دعك من هذا الكلام الفارغ .. الناس لا يريدونك مع أنك ابن ملكهم .. لما حبسك ملك باد لم يتحرك احد من قومك يا زوج اختي لمساعدتك .. أنت غير مقبول عندهم .. ولقد خسرنا آلاف الرجال لتكون ملكا .. ولم تستقر عليه ولم تخسر شبانا كما خسرنا .. فليبق هؤلاء الثائرين وليقاتلهم زوج اختك زهرة

غضب قسيم من جواب وكلام الملك ورفع صوته في حضرته فحنق الملك عليه وقال : لولا حرمة أبي الذي رحب بك ضيفا في جزيرتنا وزوجتك الاميرة وردة لسفكت دمك .

غضبت وردة من كلام شقيقها وغادرت وزوجها غاضبين ساخطين ، وكان عصام الملك يحسب لشقيقته وداد حسابا كبيرا .

***

راسل غضبان بعد علمه بهزيمة حملة مسعود شهوان شيخ الثائرين وحثه على التعاون معه لإعادة المملكة إلى ما كانت عليه قبل الحرب الأخيرة ، ووعد بجعله واصحابه من اهل المناصب المهمة في البلاد ، فحذروه من العودة هو وكل الهاربين وتركهم الشعب تحت رحمة الغزاة إلا اذا رغبوا بالحياة كعامة الناس ، فلا مكان لهم في البلاد إلا كذلك ، الجبناء لا مكان لهم .. فحز هذا في نفس غضبان ورجاله ؛ بل اعلن بعضهم الموت للثائرين .. وشاور غضبان ماوا فنصحهم بالبقاء ولزوم السكينة فما زالت البلاد مضطربة وقتل الثوار في هذه المرحلة قد يدفع مسعود للمجيء بجيش غاز من جديد .

لم يقنع غضبان بهذا الحل فدفع سفاكا متعاونا معه لقتل لشهروان أمير الثائرين ؛ ولكن هذا السفاح سلم نفسه لسيد الثائرين وأقر له بالغاية التي أتى من أجلها ، فكتب شهروان لماوا يطالبه بتسليم الأمير غضبان لخيانته وغدره .. فانكر غضبان هذه التهمة فقال شهروان في رسالة أخرى أن القاتل بين أيدينا فارسل ماوا وفدا للتحقق من التهمة فاجتمعوا بذلك السفاح واعترف لهم بمهمته لبلاد الشواهد الثائرة فطلب ماوا من غضبان بعد رجوع الوفد ترك المدينة بظلام ليل ، فأوصى الملك على زوجته وصغاره وخرج هاربا يصحبه عدد من اعوانه .. وما ابتعدوا مسيرة يوم حتى دهمهم رجال شهروان وأسروهم، ووضعوهم بعد حين بين يدي زعيم الثائرين ، وتمت محاكمتهم سريعا ، وألقي غضبان بجب عميق .. فتعجب لحال الدنيا ومكرها باهلها من زوج ملكة إلى هارب إلى سجين بين يدي صبيان ، ولم يطل به السجن فمات قهرا وغيظا .. فلما علم أمير الثوار بموته أمر بدفنه أو رميه في ماء البحر .

كان الثوار يرغبون بتنصيب أحد أبناء سماك ملكا عليهم حتى يستقر الحكم وتتوقف الفتن ، ولا يزداد المتمردون والطامعون ، وليبقى ولاء الناس لهم فعقد زعماء الثائرين اجتماعا كبيرا بينهم يتشاورون فيمن ينصبونه ملكا عليهم ..فذكر بعضهم أن لسماك ابنا اسمه حازم يعيش في بلاد ماوا لو اتصلوا به وجعلوه ملكا فخريا ، وقد تزوج فتاة من عامة الشعب في بلاد غيمة فاتفقوا على ارسال وفد يجتمع به ، ويعرض عليه شرطهم الأهم ، فمشى ثلاثة نفر إليه ، ومروا وهم في طريقهم لغيمة على معسكرات جيش بلادهم التي انسحبت مع الامراء وغضبان قبل سقوط البلاد في أيدي الغزاة ، فوجدوا أن اكثرهم هرب وعاد للبلاد متخفيا بثياب العامة وأن كبار الفرسان حائرون في مصيرهم ويفكرون بالاتصال بالثوار للحياة في بلادهم مواطنين مسالمين .

بحث الانفار عن مسكن الأمير حازم بن سماك في مدينة غيمة وبعد جهد وصلوا إليه واسروا له بالرغبة بتنصيبه ملكا على البلاد ملكا اسميا لا فعل له، فاستشار بعض رفاقه القاطنين معه في بلاد غيمة ، فذكره بعضهم بأن زهرة حية وملكة على تلك البلاد ، ولم تتنازل عن الحكم لليوم فلتذهب إليها لتتنازل عن الحكم والتاج قبل كل شيء ، وذكره آخرون بوجود الملك

قسيم الذي ينزل بلاد جزيرة حمامة وزوج ابنة الملك حمدان ، وذكروه بأن الثوار قد قتلوا شقيق الملك مسعود وأن الامور في بلاد الشواهد غير مستقرة واغلب الجيش ما زال يقبع في بلاد غيمة ،وقد يتحركون للقضاء على الثوار اذا رتبت امورهم .

احتار حازم بعد سماع كل هذه الإشارات فذهب إلى لقاء زهرة وحدثها بمطلب وفد الثوار اليه بعدما عزاها بوفاة زوجها غضبان فسألها هل يطيعهم أم يبقى في حماية الملك ماوا ؟ وذكر أمامها ايضا الاخطار الاخرى من قسيم ومسعود ، فأسرت له سرا أن الملك يرغب باتخاذها زوجة له ، وقد توافق اذا رد إليها تاج بلادها ، فلما سمع الكلام فهم الجواب ، واعتذر لوفد الثوار عن قبول عرضهم للإخطار المحيطة بالبلاد ، ونبنهم للخطر القادم عليهم من الملك ماوا ؛ لأنه على وشك الزواج من الملكة الوصية زهرة .

رجع الوفد وقصوا على أميرهم شهروان الخبر بالتفصيل ، وذكروا له طمع ملك غيمة في بلادهم فقام شهروان بجولة على الصيادين والفلاحين يحدثهم بالأعداء الذين يتربصون بهم من البحر والبر فارسل الثوار وفدا محذرا لماوا من الطمع في بلادهم من اجل ملكة هربت هي وجيشها من أمام الأعداء ، فالشعب اقوى واهم من الجيش والملكة الهاربة .. من بلاد يأكلون خيراتها من مئات السنين .

غضب ماوا من هذا التهديد وأعلن زواجه من الملكة زهرة بوجود الوفد وعلى أن يكون مهرها ما اتفق عليه معها سرا ، وهو تاج الشواهد ويكون الغزو بعد الزواج بسنة .

ولما رجع الوفد بهذه الاخبار اصدر امير الثائرين امرا بالموت على الملكة الخائنة ، ووضع جائزة لمن يقتلها ، وامر شعب غيمة ببيان سري الثورة على ملكهم الطامع في جرهم لحرب على بلاد الشواهد ؛ ليقتل أبناءهم وفرسانهم من اجل تاج امرأة هاربة .

وانتشر هذا البيان بين افراد الشعب كانتشار النار بالهشيم والعشب الجاف ، واحدث بلبلة وقلقلة في المدينة ، وظهرت حركة تمرد عجب منها ملك غيمة ، وخشي على عرشه منها وأن تحدث ثورة شعبية كما حدث في الشواهد وباد وبعض جزر البحر وادرك أن لهؤلاء الثائرين امتدادات واسعة في المدن ، وأن هؤلاء الصيادين هم قادة هذه الحركات والتمردات فاعلن

للشعب أنه لن يغزو أي بلاد لا الشواهد ولا غيرها ؛ وإنما يريد مساعد جيش بلاد الشواهد لاسترداد بلادهم من الاعداء ليعودوا لبلادهم .. فعاد الهدوء للشعب بعد ذيوع هذا النبأ عليهم .. وجيش الشواهد قد تناقص مع الوقت ، وقادته مترددون في العودة لبلاد يطمع فيها الكثير .. فهم يسمعون أن قسيما ما زال يحرض اهل الجزر على غزو بلاده .

وأما زهرة فلما رأت تخاذل ماوا عن نصرتها عاتبته بحدة ، وذكرته بعدته لها مقابل نكاحها فطمأنها أنه على وعده وعهده ، وأنه ما زال يتحرى عن الزعماء السريين في صفوف الشعب الذين يحرضون الناس على التمرد ، وحثها على الصبر ، وذكر لها أن الملك قسيما شقيقها ما زال يحرض الملك عصام على غزو بلاد الشواهد ، وذكرها بالملك مسعود الذي يجهز حملة للانتقام من قتلة شقيقه وجنده ..فالانتظار خير في مثل هذه الحال المضطربة فقال : ننتظر حتى نرى ماذا سيفعل هؤلاء الناس ؟وانا افكر باغتيال زعيم الثائرين في بلادك ، فقد تمادى وتطاول على الاسياد .. وربما بموته يتشرذم الثائرون حول الزعامة فيفتكون ببعضهم البعض .

ـ اخشى أن يفعل رجلك كما فعل رجل غضبان فيصير بك بما صار به واعود للترمل من جديد

فقال: لا تخافي أنا ملك وحولي حرسي وجندي .. وغضبان اخطأ باختياره ذلك السفاح .. فقد اختار الرجل الحياة على الموت ..

فقالت : سأصبر سنة أخرى أيها الملك .. أنا لا احب أن أكون مسخرة بين حاشيتي وفرسان بلادنا .. ملكة بلاد الشواهد تزوجت ماوا من أجل تاج بلادها ووعدها ولم يف بالوعد

فقال: أنا عند عهدي أيتها الملكة ..ولكن حسن اختيار الوقت مطلوب ..حتى يتحقق الانتصار الحقيقي .. الامور معقدة وجهات كثيرة تطلب حكم الشواهد

فقالت : ولا تنسى رأس شهروان .. فأنا لي عنده ثأر .. فأولاد غضبان مني عندما يشبوا يجب أن يعلموا أنني لم أتهاون في دم أبيهم .. فأولاده الاخرون يلومنني على عدم تحريك الجيش لقتال الثائرين والانتقام لمقتل أبيهم .. وأنه كان يعمل من اجلي .

فقال: الصمت سلاح قوي أيتها الملكة .. فالمعركة مستمرة ومرعبة .

٧

كان الثائرون في بلاد الشواهد الذين يتزعمهم شهروان الصياد يرغبون بتتويج ملك عليهم من سلالة سماك بن صخرة .. فلما خابوا بإقناع الأمير حازم بذلك الأمر ، وأن زهرة تزوجت ماوا ؛ ليعيد لها تاج البلاد اثاروا الصيادين في بلاده عليه ، فكف عن تنفيذ الوعد خشية امتداد الثورة لبلاده كما حصل في باد وجزر البحر .. قد علم الصيادون أن للملك سماك ابنة اسمها شماء وهي حفيدة جرو البحر الصياد ، وله أبناء ثائرون معهم، فلما قابلوا جرو البحر قال : منذ تزوجت حورية الماء الملك سماك وولدتها لم نرها إلا مرات يسيرة .. زارتنا فيها حورية .. وحورية اختفت منذ عهد بعيد ، ومنذ اختفاء ابنتي لم نسمع شيئا عن شماء ولا عن أمها .

سأل شهروان عنها في قصور النساء ، فذكروا لهم أنها اختفت منذ اختفاء أمها ، ولما انشغل الناس بحكم الوصي واولاد سماك نسيها الناس .. وذكر بعضهم أن حاضنتها ماتت بعد سماك بسنتين أو ثلاث ؛ وربما سبيت مع الكثير من بنات واماء القصور عندما غزا ملوك الجزر البلاد أو هربت مع الأميرات قبل سقوط المدينة الى غيمة .

فارسل شهروان رجلا حاذقا لبلاد غيمة والبحث عن ابنة حورية الماء ، ولما رجع الرجل بعد حين أخبر أن لا احد يعلم عنها شيئا ، ولا يوجد أميرة بينهم تحمل هذا الاسم ، وأن الملكة زهرة لا تذكر أن لها أختا بهذا الاسم ، فمنذ موت سماك وقبل موته لا يذكرونها فهي ابنة العامة .. فعاد شهروان يبحث عنها في القصور ويسأل العجائز وخاصة خدم حورية الماء ووصل إلى أن الأميرة لا وجود لها بعد غزو ملوك الجزر للبلاد ، واختفت أيام الغزو هل سبيت ؟ هل قتلت ؟ لم يكن مهتما بها احد حتى جاريتها عواد لا احد يعرف مصيرها .. فيئس شهروان من وجودها .

كان الثائرون في مدن الشواهد قد شكلوا مجلسا حاكما مهمته سياسة البلاد والعباد ، وكان يتكون اغلب هذا المجلس من الصيادين والفلاحين والتجار فاعلمهم شهروان بفشل البحث عن ابنة بنت الصياد جرو ، وقد فشلوا من قبل بعودة الأمير حازم لتولي حكم البلاد تحت رعايتهم واشرافهم .. واقترح عليهم الاتصال بزهرة واقناعها بالعودة للحكم تحت حرابهم

ورماحهم فقبلوا مشورته وكلفوه بالعمل على ذلك، فانتدب رسولا سريا للحديث مع الملكة الهاربة ، ويعرض عليها العودة للبلاد وتنصيبها ملكة على أن تطلق من ماوا ؛ ليطمئن أهل البلاد على حرية بلادهم.. التقى الرسول بها خفية واطلعها على رغبة القوم بعودتها ملكة لبلادهم ، ووافق ذلك هوى عندها لما رأت من تخاذل ماوا عن نصرتها طلبت مهلة حتى تتخلص من ماوا ، فتركها تفكر بهذا الهدف ، وكانت قد ولدت للرجل طفلا فلما وضعته سليما ذكرته بوعده وبالانتقام من شهروان ، فرد عليها " إن البلاد ما زالت تعمها العصابات والفوضى " فطلبت الطلاق فرفضه وعيرته بإخلافه الوعد بعودة العرش ، فحبسها في قصر خاص فغضب اتباعها على فعلة الملك فأمرهم بترك بلاده فراسلوا شهروان فأذن لهم بالعودة للبلاد بدون سلطة ومناصب مجرد شعب ورعايا فقبلوا الشرط ، واخبروه عن احتباس الملكة في قصر خاص . وجاءت رسالة لشهروان من زهرة تطلب مساعدته وتعده بالزواج منها ، فطمع شهروان بذلك ..فكتب لماوا مهددا بتدمير البلاد واثارة الشغب عليه .. فغضب ماوا وأراد أن يشن حربا على الشواهد لكن مستشاروه ذكره بحال الشواهد وأنها في حرب مع الجزر الثلاثة ولن يغنموا من حربهم شيئا مهما .. فطلق زهرة بعدما قبلت التخلي عن ابنه منها .. فرجعت الملكة إلى البلاد ، وبعد حين تزوجت من الأمير شهروان ، وأعيد تتويجها ملكة لبلاد الشواهد وزوجة لأمير الثائرين شهروان.

ولما علم قسيم الصامت كل هذه السنين بالخبر هو وزوجته وداد طار صوابه لقبول شقيقته الزواج من صياد من عامة الشعب وصاح في وجه وداد : ألا لعنة الله على شقيقك .. له سنتان صامت صمت الجبال ..أرأيت ما فعلت المجنونة ؟! خمسون زوجا نكحت من أجل الحكم .. راهب ..غضبان .. ماوا وشرهم هذا اللعين شهروان الصياد ؟! اصبحت ملكة ونحن لم نحرك حجرا أيتها الملكة !..ألست شريكة لي في الملك ؟!

قالت وداد بضيق من شتم شقيقها : المصيبة أيها الرجل أنك غير محبوب من شعبك .. سيرتك قبيحة عندهم منذ عهد أبيك .. ولو أنت مقبول لديهم ما ثاروا عليك ولما تخلوا عنك عندما سلمك غضبان لسمعان .

تفاجأ قسيم بكلامها الشديد وقال مهدئا للحوار : وهل اذا كرهني الشعب والرعاع أن أتخلى عن الملك ؟! فهؤلاء الرعاع لا اعتبار لهم عند الملوك

ـ هؤلاء الرعاع اصبحوا ملوكا اليوم، ويتزوجون الملكات ، وستكون خال هؤلاء الرعاع بعد سنة من الزمان .. فأختك كأنها بقرة ولود .. لها اولاد من راهب ولها اولاد من غضبان ولها ابن من ماوا وغدا ستلد من هذا الصياد

تنهد قسيم وقال بنفرة : أوه ! إنك تثيرين غضبي اليوم .. أنا اطلب منك تشجيعي لنيل التاج ليعود على مفرق رأسك بدل أن نبقى أذلاء عند الملك عصام .. تحدثي مع شقيقك الملك على مساعدتنا ، فالملك مسعود يبدو أنه نسي دم شقيقه المقتول في بلاد الشواهد .. رحم الله الملك حمدان كان صاحب نخوة اصيلة وهمة علية

ـ يا قسيم لقد بذلنا الغالي والنفيس من أجل عودتك ملكا .. ضحينا بآلاف من الجند والناس ودون فائدة .. تزوجتك وقبلت بك سيدا وأبا لأولادي .. لصلة القربى التي شدتنا لبعض وذهبت بنفسي وخنقت عمك الوصي وابن عمك راهب .

فقال: أنت فعلت ذلك ؛لأنك أحببت أن تكوني ملكة ؟!.. لو قبلت أن تظلي اميرة ما فعلت ذلك .. أنت طمعت بتاج بلادي وتكونين ملكة واقنعت والدك العزيز بذلك .. لم يكن وقوفك معي إحسانا وجودا .. زهرة تعود ملكة وقسيم يبقى حبيس قصره ينتظر رحمة الملك عصام .. ألا ترغبين بأن تكوني ملكة ؟!

ـ بلادك لم يعد هواها يطيب لي

فقال: انتهى حلمنا إذن يا وداد البطلة المغامرة الشجاعة

ـ بصراحة اقول لك .. أخي الملك لا يريد الحرب ، وأنا لم اكف عن الضغط عليه كل هذه السنوات حتى صار يضجر من اللقاء بي ؛ بل هدد بتطليقي منك ، ومرة هدد بنفينا

فقال ساخطا : ألهذا الحد الجبن ؟!

ـ لا تغلط أيها الفارس بحق الملك فجواسيس وعيون الملك في القصر نحن نعيش في حمايته فانفعل فأخذ بالصراخ والصياح والقذف والسباب حتى أن بعض الخدم فزعوا إلى مكان

اللقاء فصرفتهم الاميرة ثم قالت : اذهب بنفسك للملك قل يا ملك عصام يا شقيق الأميرة وردة ساعدني في استرداد ملكي مللت الصمت .

فهاج في نوبة أخرى وزعق وقال متحديا : سأذهب اليه . ودخل على الملك عصام ساخطا غاضبا محمر الوجه والعيون وقال صارخا : أيها الملك !.. أين الوفاء؟ .. أين العهد؟.. أين الملك حمدان؟ قاتلت أهلي وقومي معكم من اجل العرش أن يكون مواليا لكم .. إنكم غدرتم بي .. هذا جبن !

وأخذ يصيح بكلام هائج من شتم وتحقير مما اغضب الحاشية كلها والملك نفسه ، فأمر الجند بحبسه ، ثم أمر بعد ايام ثلاثة بجلده أمام العامة، ثم رماه عند أخته وطلب منهما مغادرة البلاد أو تطلق منه فاختارت الطلاق .. فحمل قسيم في سفينة صغيرة وألقى على سواحل مدينة باد مثخنا بالجراح ممزق الثياب ، فوجده أحد الصيادين الاثرياء فساقه لبيته وداواه ظانا أنه صياد تعرض للغرق أو قراصنة بحر . ولما استعاد عافيته بعد ايام من الانهاك والمرض وأخذ يتذكر ما حل به من هوان وذل وتخلي انصاره الذين لم يهلكوا عنه ، ويئسوا من عودته ملكا .. وتذكر حبسه وجلده امام العامة وتطليق زوجته منه ورميه على ساحل مدينة باد فانتكس ثانية وعاوده السقم لهذا الحال وفكر برمي نفسه في البحر ليموت وغلبه حب الحياة والحاجة للانتقام من كل اعدائه .. من عصام ملك حمامة .. فزيد الوصي قد هلك وتبعه ابنه وغضبان مات مسجونا .. وشهروان الثائر الشعب اختاره زعيما لطرد الغزاة وقد حقق ذلك فهو عدو .. وسمعان اليوم اسير عند ابناء خالد ..فلأبدا بعصام الذي اذلني وسحق شرفي .. شكر الرجل العجوز على مداوته وألقى على مسامعه كذبات وأنه تعرض لحقد من رفاقه فضربوه ورموه في البحر فسبح حتى وصل الشاطئ فصدق الرجل ما سمع وأذن له بالسفر لبلاده ، غير من هيئته المعروفة للناس ..ومشى جهة بلاد الشواهد والمسافة بين المدينتين خمسة ايام بالسفر الطبيعي والمتمهل ، فدخل وديان وصعد تلال وجبال حتى اقترب من بلدة صغيرة تسمى " نهبة " وبينما يسير نحوها دهمه رجال وصبيان وساقوه إلى شيخ القرية وهو في حال يرثى لها من الضرب والصفع ، واتهمه الشيخ وأهل القرية بأنه كان مع اللصوص الذي سرقوا

بعض مواشي البلدة ، فانكر التهمة وشهد احدهم أنه رآه مع اللصوص وهذه الثياب الرثة تدل على أنه منهم وأنهم تخلوا عنه ، فاسترقوه ودفعوه للرجل الذي سرقت مزرعته وبعض دوابه ، وهددوه بالقتل اذا حاول الفرار ، فصمت ورضي بحكمهم ، ولم يستطع كشف شخصيته لهم ، وكان خلال مكثه يفكر بالهرب ، وقد وجد لدى صاحب المزرعة جوادا فرسم خطة بخطف الحصان والهرب عليه ويدخل على أخته الملكة مستجيرا معلنا التوبة والندم .

وفي اليوم الذي قرر الاختفاء فيه شعر به أهل المزرعة وكشف امره فأوثقوه بالحبال وجلدوه وساقوه إلى مكان بين عدة قرى يتبادلون فيها الاشياء كسوق وباعوه لتاجر رقيق يتردد على ذلك السوق القروي .. وبعد أيام حمله التاجر إلى سفينة يجمع فيها العبيد والاماء لينقل للمدن الكبيرة ، وبعد زمن وجد نفسه يباع في سوق مدينة حوت واشتراه فلاح مع غيره ليعمل في الارض من حراثة وسقي واطعام الدواب .



٨

قلنا إن شهروان نكح الملكة زهرة مقابل عودتها للحكم وإخراجها من سجن ماوا ، وهدأت البلاد شيئا قليلا ، وأخذت قبضة الثائرين تضعف عن حكم البلاد يوما عن يوم ، وحتى مجلس حكم البلاد كاد يختفي بعد عودة زهرة وزواجها من السيد الجديد للبلاد ، وقد نال بعض الثوار زوجات وأرامل أميرات .. ثم حلت القيادة للثائرين بعد استقرار البلاد وضعف الخطر الخارجي .. وأنشئ حرس جديد للأمراء الجدد واغلبهم من الصيادين لعددهم الكبير في البلاد ؛ ولأن اكثر الثائرين كانوا منهم ايضا .

ولما اطمأنوا من عدم غزو ملوك الجزر تراخت قبضتهم نهائيا عن البلاد وانتشر بينهم الزواج من الاميرات والثريات ، وعاد الفرسان القدامى بسبب هذه الزيجات لحكم البلاد مع هؤلاء الناس .. واعيد احياء الجيش ولكن بعدد أقل كما أراد شهروان .. وخلال اقل من خمس سنوات من عودة زهرة انفض زعماء الثائرين من حول شهرون أو شهروان ، واخذ يستبد لتأمين المال لمتعته وشهواته ، فغضب التجار والفلاحون والصيادون الجدد من سياسات شهروان الظالمة وهددوه بالثورة عليه .. فاستشاط غضبا من تهديدهم .. فقد ذاق طعم الحكم والسلطة ، وتمادى في غيه .. فاجتمع الثوار من جديد .. وقام الثوار القدامى بعزل شهرون رغم أنفه ، ودفعوا زعيما جديدا لسيادة البلاد .. فدار صراع مرير بين الثوار .. فهناك من قتل واغتيل .. وهناك من هرب من نير البطش فاضطر الثوار خصوم شهرون بمحاصرة قصر شهرون وأسره وتثبيت فارسهم الجديد .. وحكم حكامهم على شهرون بالموت وإثارة الفتن والغدر والخيانة لثورة الشعب ، وقتلوه أمام أعين الناس مع أهم وأشهر معاونيه ، ولم يقبلوا فيه شفاعة الملكة وغيرها، وهددوا بخلعها وهكذا اختفى شهرون فجأة ؛ كما ظهر فجأة .. وعادت زهرة أرملة تنتظر عريسا خامسا.. وأهلك الكثير ممن عرفوا انصارا له .

واعتلى سدة الولاية في بلاد الشواهد الزعيم الجديد ، وهو رجل مسن اسمه سبع البحر وهو صياد معروف بين الصيادين ، وابقوا زهرة ملكة اسمية للبلاد ، ومنعوها من التدخل في شؤون المملكة والحكم والأمن والضرائب .. ما عليها الا الاكل والشرب واللهو ، فلزمت

الهدوء وخشيت بأسهم .

اجتمع رجالات من الحرس والجيش خفية للتمرد والسيطرة على البلاد بقوة السيف وبعد نظر وجدوا انفسهم ضعفاء ، والملكة غارقة في ملذاتها وشهواتها المعروفة لأهل القصور والامراء فلاذوا بالصمت . سعى احد أبناء غضبان لإنشاء حركة سرية ، فعلم بها الثائرون فلقي جزاءه سريعا بالموت هو ومن التفوا حوله .. ونفوا كل سلالة الغضبان حتى أولاد زهرة منه ورفضوا أي استعطاف .. فصمت الجند والامراء من جديد .. وانتشر الرعب بين الناس لقسوة الحساب ، وقام سبع البحر بترتيب امور البلاد من جديد .. ولغى الجيش .. وزاد من افراد الحرس والشرطة .. وأهل مدينة شرم الحزينة طلبوا الانفصال عن الحزينة .. فدارت حرب بين ثوار المدينتين واتفقوا بعدما كثر القتل في صفوفهم إلى تقسيم الشواهد لثلاث مدن رئيسية وبقيت زهرة ملكة اسمية لكل المدن .. وكل مدينة وضعت زعيما وسيدا منهم .. واستقر سبع البحر بعد هذه الحرب القصيرة حاكما على مدينة الحزينة ، وحماد على شرم الحزينة وقروان ملكا على سلة الملك . ولتقويه حكمه وسلطته ، وتثبيت شرعيته كان الزوج الخامس ، تزوج سبع البحر الملكة الارملة ؛ فكان الزوج الخامس الشرعي لها ، وعاد الهدوء بعد هذه الصراعات بين الثوار .. وكل مدينة انشأت حرسها الخاص وشرطتها الخاصة .

ذات ليلة استيقظ سبع البحر من نومه فجأة ، ولم يجد الملكة بجواره وسمع صوتا في القصر فنهض، وتحرك بخفة نحو المكان الذي سمع منه الصوت ، وقف على باب الغرفة واصغى ثانية فسمع زهرة تتحدث مع رجل ، ففتح الباب فجأة وبقوة فوجد زوجته في ثياب فاضحة تجلس مع ذلك الشاب فصاحت : سبع البحر أصحوت ؟! فدخل للحجرة وقال والغضب يتطاير من عينيه : من هذا ؟

كان الرجل قد وضع يده على خنجره فتطلعت إليه وقالت : هذا ...

فصاح سبع البحر : من هذا ؟ عشيق جديد .. لقد قالوا لي إنك امرأة لا تشبع من الرجال .. امرأة فاجرة .. رفضت الزواج منك ولكنهم اجبروني .. من أنت أيها العاشق ؟

فما كان من العاشق حتى انقض على سبع البحر بخنجره، فابتعد سبع البحر عن طريقه

وعرقله فسقط الشاب على الارض فهجم عليه سبع وضرب رأسه في الأرض ، ولاحظ أن زوجته تحاول الغدر به وتساعد عشيقها فنهض مسرعا خارجا من الغرفة ، واغلق الباب عليها ثم استدعى حرس القصر فهرعوا إليه مسرعين ، وأمرهم بفتح الغرفة واخذ الشاب الخائن إلى سجن القصر . وانطرحت زهرة تقبل قدميه وتطلب العفو وتعلن الندم فقال : أنا اعرف سيرتك السيئة منذ عهد الملك راهب .. وقلت لك أنا رجل كبير لا أصلح للنساء ؛ ولكنك قبلت الاقتران بي امام رجال الحكم ..

أمرها أن تذهب لحجرتها حتى يجتمع بأمراء المدينة ، وينظرون امر هذه الخيانة الزوجية ، لا تطيعه نفسه بقبول الحياة مع امرأة لا تحترم الحياة الزوجية .. ولم تعتبر من حوادث الزمن ..ولا تهتم لعمر .. ناشدته العفو والصفح وأنها آخر مرة تسمح لنفسها بالخيانة الزوجية

فقال: هذا سقم فيك .. اغربي عن وجهي ولولا خشية الامراء لقتلكما سوية .. سيعرف الشعب كل شيء في الصباح .. مقامك ليس هنا

كانت تتوسل وتبكي فرفض الخضوع فامر الخدم بأخذها، فأخرجت خنجرا صغيرا لتطعن نفسها فقال ساخرا : دعوها تقتل نفسها اذا كانت عندها الشجاعة لفعل ذلك

لم تفعل بالطبع فعادت للاستجداء والرجاء فقال : أيتها المرأة .. كيف سأقبل أن تبقي زوجة ؟ ألم تتعهدي امام السادة بالمحافظة على الحياة الزوجية وألا تخوني سبع البحر ؟ وزعمت أنك كبرت عن الخيانة الزوجية والعشاق .. لن أقتلك سأطلقك فقط وأمر بحسبك حتى تشتهي الرجال من مدة الحبس ..

فهجمت عليه بخنجرها فأمسك بها الغلمان فقال : خذوها إلى حجرتها واغلقوا عليها لعلها تقوى على طعن نفسها لترتاح من الحبس والعشاق .

عقد مجلس حكم مدينة الحزينة مجلسا للنظر في هذه القضية بعد ثلاثة ايام من الحادثة استمعوا للشاب الذي وجدوه يجالس الملكة ليلا فلما أطمعوه بالعفو اعترف بالعلاقة الاثمة بينه وبين الملكة زهرة ، وحاولت الملكة التي حضرت اللقاء أن تنفي ذلك عن نفسها وبعد تشاور ومعرفة أن الشاب احد أبناء الأمراء القدامى ، وأن الملكة عرضت عليه الغواية فامروا بالعفو

عن حياته وسجنه ، وامروا بحبس الملكة الخائنة اللعوب في قصر صغير خاص بالنساء المسجونات معروف من ايام الملك سماك بن صخرة .. ولم تهدأ الامور بعد صدور الحكم عليها فقد اجتمعوا بعد حين لعزل زهرة لسوء أخلاقها وسمعتها المشينة للتاج والحكم وللبحث عن ملك جديد من سلالة سماك .

ورحب سبع البحر بحكمهم هذا الذي اعتبره قد رد إليه الشرف والكرامة التي اهدرتها بخلاعتها وعدم احترام شيخوخته الذي رفض ابتداء الزواج منها لما يعلم من خلاعتها ومجونها السافر في البلاد منذ عهد بعيد .

ارسلوا وفدا لمقابلة الأمير حازم بن سماك في بلاد غيمة فرفض الرجل وزعم أنه زاهد في الحكم والولاية الكبرى وأسف لما أصاب أخته من حبس وفجور .

عاد الوفد وعقد المجلس من جديد وسمعوا رفض الأمير للحكم والملك ، فسعوا عند اولاد الملك زيد الوصي فكلهم اعتذر عن حكم غير مستقر .. فذكروا قسيما فسعوا إليه ورجعوا بأخبار سيئة عن قسيم وأنه اختفى منذ سنوات وطلق امراته وغادر جزيرة حمامة .

فاستغرب أهل الشواهد من عدم عودته إليها بعد كل هذه السنوات وشكوا بأنهم قتلوه واخفوا بدنه ، ولم يأسفوا على هذا الضياع ، وأمام هذا الواقع أعلن اهل المدينة سبع البحر ملكا كبيرا على بلاد الشواهد الثلاث ، وبحثوا له عن أرملة من سلالة ملوك البلاد وزوجوه اياها ليسري الدم الملكي في عروق سبع البحر . وعاد السكون للبلاد بضعة أشهر حتى فوجئ أهل البلاد كلها في احد الايام بالإعلان عن اغتيال سبع البحر بخنجر داخل قصره .



٩

حدثت على اثر اغتيال الحاكم سبع البحر فتنة كبيرة في المدينة، قام مجلس الحكم بتحقيق واسع لمعرفة الغادر ، وعين الصياد البحري " شبير" حاكما جديدا ، وأمر بحفر أخدود أججت فيه النيران ، وجلب كل من كان في القصر الذي قتل فيه سبع البحر وسألهم سؤالا واحدا " أتعرفون الجاني ؟" وكل من نفى علمه طرح في النار ، ولم يعف إلا عن أبناء وزوجات سبع البحر فاحرق الكبير والصغير الذكر والانثى ممن كانوا في القصر ليلة الحادث حتى الحرس على الابواب اهلكوا .. فكان حدثا مروعا في المدينة الحزينة اهتزت له الشواهد كلها والمدن المجاورة ..وحتى الجزر الثلاث، ووعد شبير بالمزيد من القتل حتى يكتشف قاتل الملك الشيخ سبع البحر ، فترك هذا الحادث المروع الجزع والرعب في قلوب الاهالي وبدأ البعض بالهرب والمغادرة إلى المدن الأخرى خاصة التجار والأثرياء ولم يبال شبير بهربهم وهجرتهم ، ثم تبين له بعد حين من الدهر خطأ الصمت على هربهم وفرارهم ، فقد قل المال الذي يدخل على خزينة المدينة ، وعجز عن دفع أجور الحرس والشرطة .. فأمام هذا الوضع المر عزل مجلس الحكم الحاكم شبير ، وخضعوا لحكم قروان وأعادوا توحيد الجزيرة لحاكم واحد .. وعندما تولى قروان الحكم جاءته رسالة استعطاف من الملكة المخلوعة زهرة تطلب العفو والنفي .

فذهب إليها الملك بنفسه ولما رآها اعجب بحسنها ، وعرض عليها العفو مقابل الزواج منها وضمها لنسائه فوافقته على ذلك ، وحذرها من الغدر والخيانة فوعدته بالتوبة والندم .

فاصدر أمر العفو عنها ، وأشهر زواجه منها ، فكان الزواج السادس لها سوى عشاقها الذين لا يعرفهم احد . كان قروان رجلا دون الخمسين سنة وهو فارس قوي وصياد شجاع وشارك في التمرد والثورة من بدايتها ، ورفض مجلس الحكم اعادة تنصيب زهرة ملكة حتى يثبت لهم توبتها وحسن خلقها . كانت زهرة في الشهور الأولى نعم الزوجة وأثار الحبس ظاهرة عليها ، ولكنها بعدما حملت من قروان بدأت تحن للحفلات والسهر فولدت له بنتا ارسلها للمربيات من نساء الصيادين اقاربه . ثم رآها يوما تكلم شابا غريبا عن القصر خلسة فاستراب في

شأنهم، ثم فاجأهم بالظهور وهددها بالطلاق اذا عادت للعب والدوران والعبث بشرفه وهددها بالحبس من جديد ، وحرم على ذلك الرجل الدخول للقصر بأي صفة كانت .. وهدده بالموت دون تفكير ، حاولت الدفاع عنه وأنه مجرد رجل صديق وتاجر تكلف بشراء ثياب لها ، فنهرها وأمرها بالصمت فغضبت وقالت بحنق " اخطف روحك كما خطفت روحه "

فقال محدقا : "أنت قتلت سبع البحر ؟!"

ادركت أن لسانها زل فحاولت الانكار والتملص من فلتة لسانها ، فامر بعض الحرس بحبسها وجمع مجلس الحكم وكشف لهم خطأ لسانها وتهديدها له بالقتل كما قتلت سبع البحر فقال شبير الذي حرق قصرا لمعرفة قاتل سبع البحر " من نفذ الجريمة ؟! هاتوا حرس حبسها .. فلابد أن احدهم أوصل رسالة للقاتل أو من دفع القاتل "

جلب حرس محبس قصر النساء واعترف احدهم انها كلفته برسالة لاحد الناس ، فجيء بأحد الناس واعترف بتجنيده رجلا من خدم القصر لقتل سبع البحر ، وقد قتل يوم حريق القصر ..فقتلهم شبير جميعهم ، وأمر بحبس زهرة مرة اخرى في ذاك المحبس .

ذات صباح استيقظ سكان مدينة الحزينة على صراخ وصليل سيوف وصهيل خيل فقد دهم احد السواحل غزاة اشتبكوا مع الصيادين في تلك الجهة ، ثم تقدموا لوسط المدينة يسفكون دم كل من وجدوه في الطريق، ففزع الناس إلى سيوفهم وخيولهم وصدوا الغزاة وقاوموهم حتى ردوهم للبحر حيث سفنهم ومراكبهم .. وعلم قروان أن أولئك المعتدين من جزيرة حمامة .. وأذن بقتل كل رجل منهم واحرقت جثثهم .. وطلب مجلس الحكم تكوين حملة لغزو جزيرة حمامة والانتقام لهذا الغزو .. ونشط في هذا الامر ووجد الحماس لدى الكثير من الشباب الصغير وأبناء الصيادين.. وفتحت اماكن لتدريب افراد الحملة وبمضي عام عليها كانت جاهزة لغزو تلك الجزيرة ، وكانت حملة تتكون من اكثر من ألفي محارب فولى ابنا له رئيسا للحملة .. وكان الاصفر شابا قويا معروفا بالشجاعة والاقدام ابان الثورة الاولى .. ولما جاءت العيون بالأخبار امرهم الحاكم بالوصول لقصر الملك عصام وقتله او اسره وحرق

القصر دون هوادة . لم تسير الحملة لجزيرة حمامة مباشرة ابتعدت عنها عدة ايام ثم استدارت من جهة اخرى حسب الخطة الموضوعة للحملة ، وعند نصف الليل اقتربت السفن من شاطي الجزيرة المقصودة ومع تباشير الفجر كانوا قد وصلوا قرب قصر الملك حسب الأدلاء لهذه الحملة ، واشعلوا فيه النار بعدما نالوا من الحراس واصبح آخر الليل نهارا ، وجرت معركة حوله من المدافعين عنه ، وكانت معركة كبيرة استطاع الصيادون دخول القصر ونهبه وتركوه مسودا محروقا ، ولم يجدوا الملك عصاما فيه ..وعادوا للبحر بما غنموا .. وبعد حين وصلوا شواطئ بلادهم بمن نجو سالمين غانمين وخرج الشعب يرحب بهم .

وكان عصام في حمامة يهدر ويرغي ويزبد ويعض أنامله غيظا وقهرا على الكارثة التي ألمت بالجزيرة وغاضبا على شقيقته التي ظلت تطمعه وترغبه في بلاد الشواهد فتعهدت امامه بالسعي لقتل وتدير بلاد الشواهد .

خلعت ملابس النساء وتنكرت بثياب الفرسان فقاموا في منعها من مغادرة البلاد ، فأقسمت على صرع قروان والفتك به غيلة ، فخشي عصام من فشلها وافتضاح امرها ويعودون لغزو بلاده .

فقالت : سأدخل بلادهم متنكرة ،وقد سبق لي ذلك في الزمان الماضي حياة والدي الملك حمدان.

فتركها تفعل ما تشاء وبدأ يراسل امراء الجزر المجاورة لشن حملة على بلاد الشواهد .

أما قروان فبعد النصر وحرق قصر المعتدي عصام أخذ بإنشاء جيش ثابت وقوي ويخطط لغزو جديد لبلاد حمامة .. وقد وجدت هذه الحملة هوى لدى الشعب والصيادين لقلة التجار وكثرة الصيادين فقد هرب الكثير من التجار والعائلات إلى بلاد أخرى ..فكانوا يرون في الحملات العسكرية كسبا وثروة .. فكثر المتطوعون للحملة الجديدة وأخذ القادة في تدريبهم وتهيئتهم للغزو الجديد .

دخلت وداد متنكرة بلاد الشواهد التي تعرفها حق المعرفة لقد سكنتها كجارية بضع سنوات وكملكة بضع سنين أخرى .. وقد علمت منذ حين أن زوجها قسيم لم يصل لبلاده فوقع في

قلبها أن اعوان شقيقها قتلوه ورموه في البحر بعد جلده وطلاقه لها .. ولكن عصاما اقسم لها أنهم تركوه حيا على شاطئ باد . وبحثت عنه بطرق خاصة فلم تصل إليه ، لذلك كان من أهدافها عندما وصلت المدينة سوى قتل قروان البحث عن قسيم ومعرفة مصيره .. علمت أن زهرة محبوسة بتهم كثيرة في قصر حبس النساء والاميرات .

هي تسعى لدخول القصر لتفتك بقروان كما قتلت الوصي زيدا وابنه راهبا وتنجو بروحها في نفس الوقت .. أخذت تعمل شحادة متسولة في قلب المدينة ، وطفقت تسعى لمعرفة اقرب الناس لقروان من رجال ونساء ، وسمعت بالغزو الذي يجتهد له اهل المدينة لبلادها وغيرها من الجزر ورأت حماس الشباب لهذه الحملة ..وفكرت بالعودة للجزيرة وإعلام أخيها والسادة فقالت : ربما أقتل هذا اللعين قبل القيام في الحملة .. فالحملة تحتاج لوقت حتى تجهز كما يقولون . تعرفت على امرأة أحد رجال قروان ، وأخذت تتردد عليها طلبا للمساعدة والعشاء واشعرتها أنها فقدت زوجها في معارك المدينة ؛ وليس لها أسرة وأولاد ، فامتهنت التسول لسد رمقها .. وظلت تتردد عليها شهورا حتى غدت معروفة لتلك السيدة بأنها امرأة فقيرة أرملة وكذلك عرفها زوجها . ثم طلبت من المرأة أن تجد لها عملا كخادمة لدى الاميرات والامراء بدل التسول ومد اليد للأجاويد وأهل اليسار . فاستحسنت السيدة هذه الفكرة وكلمت المرأة زوجها بشأن تلك الأرملة .. حتى وجدوا لها عملا في قصر أم قروان وبعض نسائه القاطنات معها .. فذهبت بها المرأة بعد أن كستها ثوبا جديدا ، وزعمت لهم أنها طباخة ماهرة ..فقبلت للعمل في قصر أم قروان .. وسمح لها بالعيش مع الجواري والخدم ، واطمأنت لها نفوس القوم بعد حين . وكانت تترقب يوما يزور قروان أمه أو إحدى نسائه .. ولكن الوقت يمضي وزمن الحملة يقترب ، وتخشى أن لا يعلم أهل الجزيرة بما يدبر ويمكر لهم من قروان .. ففكرت ببعث رسالة سرية مع احد الصيادين .. فسعت للبحث عن صياد امين وماهر ورجل بحر .. تعرفت على بحار عجوز ويحب ركوب البحر ؛ كأنه شاب صغير ..ويحب الابتعاد في جوف البحر لصيد الاسماك .. وبعدما وثقت علاقتها معه، عرضت عليه حمل رسالة لسيدة لها في تلك الجزيرة ووعدته بجائزة ثمينة .. فقبل البحار القيام بهذه المهمة الخطيرة .. فبلاد

حمامة في حالة حرب مع بلاد الشواهد .. فكتبت رسالة ووضعتها في جوف قصبة .. وكانت قد اقنعت الصياد العجوز أن تلك المرأة سيدة قديمة لها وتسعى للعودة للعمل عندها .. فتسلم الصياد القصبة وقبل خاتما ثمينا منها وسر به . فقال الصياد : ستكون عند سيدتك الأميرة رحمة بنت حمدان.

وعندما كانت وداد في الليل تسلم الرسالة للبحار العجوز امام كوخه كان في الداخل رجل فسمع صوت المرأة وهي تسلمه الرسالة وتعطيه الخاتم وتعده بالإكرام بعد عودته .. فلما ابتعدت المرأة وعاد الصياد لداخل الكوخ سأله الرجل عن تلك المرأة فقال الصياد : إنها جارية كانت تعيش قديما في بلاد جزيرة حمامة عند اميرة من الاميرات كأنها ابنة الملك حمدان .. ولما تزوج قسيم ابنة ذلك الملك جاءوا بها الى هنا وعاشت بيننا وتزوجت وقتل زوجها .. ولا أولاد لها.. وتعمل طباخة في قصر أم الملك قروان .. عن طريق الفارس نشوان احد رجال قروان كما تعلم .. فلها رغبة بالعودة لجزيرة حمامة فكتبت رسالة لتلك الاميرة طمعا بقبولها من جديد .. فكتبت رسالة ووضعتها في هذه القصبة المغلقة والملفوفة بقماش جميل ـ واشار بها للضيف ـ وفي سفرة لي سأمرر هذه الرسالة الى تلك الجزيرة إما بنفسي أو اكلف احد معارفي من صيادي حمامة بنقلها لرحمة تلك .. لتوتر الامور بيننا وبين تلك الجزيرة ..

قال الضيف بعدما خيم الصمت : اخشى أن تكون هذه المرأة جاسوسة وتستغل طيبتك .. منذ متى تعرفها ؟

ـ من شهر .. وهي تعمل في قصر أم قروان

ـ نحن في حالة عداء مع جزيرة حمامة اليوم .. فانظر في الرسالة قبل نقلها .. فالخاتم الذي اعطي لك ثمينا وسمعتها تعدك بشيء ثمين

ـ هل يحق لنا فتحها ؟

خطفها الرجل ومزق القماش عنها وازاح الطين عن طرفي القصبة واخرج الرسالة وامر الصياد بإشعال النار ليحسن قراءتها ..وقد قرأها !

١٠

بعد مضي كل هذه السنين سنعود بك أيها القارئ الفاضل إلى الوراء إلى المشاهد الأخيرة من قصة أبناء الملك سماك بن صخرة إلى صديق الراعي وحورية الماء التي خرجت من المدينة خفية تحمل في رحمها جنينا كان الملك سماك يعتقد أنه ولد ذكر سيكون ملكا على بلاد الشواهد في يوم من الايام .

ومشى صديق بالمرأة حتى باد ، فعلم هناك بموت الملك سماك ، فسار بها إلى حوت التي تبعد عن باد ثلاثة ايام وتسمى ايضا بالبحر ، ومن ثم انتقل الى بلدة حمار التي تبعد عن حوت بضعة ايام ، وحمار هذه مرفأ مدينة كبيرة تسمى عيسى ، وقلب المدينة يبعد كثيرا عن البحر ولا يربطها بالبحر سوى ميناء حمار . ويقال للميناء أحيانا حمار عيسى ، وبينه وبين موقع المدينة حيث السلطان عشرات القرى الصغيرة .. بعد وصوله إليها استأجر صديق بيتا صغيرا ، وبعد شهرين استأجر بيتا في حي آخر وترك الأول .. وقبل أن تلد المرأة انتقل لبيت ثالث ؛ حيث ولدت ابنها فيه وسمته " اسد الغابة" وكنته ابا يوسف .. وبعد انقضاء فترة النفاس التي تتبع الولادة رحل صديق إلى مكان آخر .. وكل هذه يفعله الرجل تنفيذا لخطة سماك لتضليل من يفكر يوما بالبحث عنهم . وكان كل من يتعرف عليهم من الجيران يظن أن المرأة الشابة زوجة للشيخ ، وأن المرأة ولدت له هذا الطفل ، واستقر صديق بالمرأة بحي يسمى النسران ، وفيه كبر الفتى ونشأ .

وكان لصديق في هذا الحي جارة قد ولدت بعد سكنهم بأيام وسمت وليدها "عفر" وتصادق صديق الراعي مع زوج المرأة وكذلك جيرانه الآخرين .. ولم يطل العمر بصديق ليرى أسد الغابة شابا .. فقد مات قبل أن يكمل الطفل السنوات الخمسة الأولى من عمره .

قام أهل الحي بدفن الرجل واعتبروا أنفسهم أهل المرأة بحكم الجيرة ، وصعبت الحياة اكثر بموت صديق صديق الملك سماك .. وكانت تهم بالعودة لبلادها ولكنها تتذكر الخطر المحدق بابن الملك سماك فتهدأ وتلجأ للصبر والتحمل .. واخذت نساء الحي يرغبنها بالزواج بعد حين من موت زوجها صديق .. كان الظن أنه والد الطفل وتحتج بالرفض بتربية وتنشئة

وليدها اليتيم ، ولما كملت السنوات العشر للطفل رضيت بالزواج ، فتزوجها والد عفر جار صديق المفضل على غيره من الجيران .. وكانت حورية قد تسمت بشجرة وصديق بحسان.

أصبحت شجرة ضرة لمحبوبة زوجة جاد ، وكان لجاد سوى عفر ابن كبير اسمه ليل وابنتان حمراء وبيضاء ، وبعد ولادة عفر ولدت له طفلة سميت نهى ، وولدت حورية لجاد حساما وربيعة وأنثى سميت ذهبة .. اخفت حورية حقيقة والد اسد الغابة عن الجميع وظلت محتفظة بسرها حتى يشب الفتى .

كبر الفتى وتعلم القراءة والكتابة كسائر أطفال المدينة ، ولما بلغ العاشرة ارسلته كما يفعل الفرسان لتعلم السيف وركوب الخيل زاعمة لهم أنها محبة لابنها أن يخدم في الجند أو الشرطة عندما يصير شابا .

ورافق عفر صديقه هذه التمارين ، وتحمس جاد لعمل ابنه عفر في الجيش الملكي .. فهو يعمل في الزراعة في أطراف المدينة مع أسر غنية .. وابنه ليل ذهب لحمار ويعمل في الصيد البحري .. وحمراء وبيضاء قد تزوجتا قبل زواجه من شجرة ..الاولى منهما أخذها ابن أخيه شاب فلاح مثله .. والثانية تزوجت قريب لأمها .. وكان يفكر بتزويج اسد الغابة من ابنته نهى عندما تشب .

احب الفتيان مكان التدريب على المبارزة ، وتعلقا بالفروسية ، وكانا يعجبان من قوة الذين يكبرانهم في السن .. واستمر تدريبهم في مواقع التدريب حتى بلغ أسد الغابة خمسة عشر عاما فقوي عضله واشتد عوده ، واصبح يسابق الفرسان ، وزادت صداقته ومحبته لعفر واصبحا لا يفترقان ساعة عن بعضهما البعض . وسعى لهما احد مدربيهم لإدخالهما في معسكر الجيش للتدريب والمران حتى يلتحقان بالجند ليحققا شهوتهما بالخدمة في جيش البلاد .

وكانت شجرة وهي ترى ابنها يشب تطلب من زوجها السماح لها بالسفر لبلاد الشواهد لزيارة أهلها وأقاربها .. وتذكر له قصة زواجها المزعومة من حسان : إن زوجها العجوز نزل تلك البلاد في تجارة له ، وكان ضيفا على أسرتها من الصيادين وأحب والدها التاجر الجوال وأنه رآها عدة مرات، ثم طلبها من أبيها فقبل به رغم صغرها وكبره .. ولما علم بحملها

استقر بها في هذه البلاد وكف عن السفر.. وإنها بشوق لزيارة أهلها بعد هذه السنوات الطوال وقالت له : إن زواجي منك خفف من اللوعة والشوق لأبيها وأمها وأهلها "

ثم قالت له : إن أسد الغابة كبر اليوم .. وحسام وربيعة كبرت بهم الايام .. وإنها على استعداد لشراء جارية ترعاهم في فترة غيابها .

فكلما يتكرر هذا الكلام على مسامع جاد يعدها بتحقيق هذه الرغبة .. ويقول لها " بلاد الشواهد بعيدة كثيرا عن بلاد عيسى ..والرحلة البحرية اليها تستغرق وقتا كبيرا وكذلك البرية "

فقالت: سأذهب بخادمي قمص .. فهو خادم امين .

كانت حورية تدرك أن جاد لن يسمح لها بالسفر ، وإنما كانت تلح بذلك ممهدة ليعرف الشاب أسد الغابة أهله وحقيقة اصله .. وهي تريد السفر إليها لتعرف حال البلاد لتكشف له القصد من هذا الاختفاء ؛ ليتحمل الأمانة، ويعود ليكون ملكا على بلاد أبيه .. فهي نسيت البلاد والاهل لتنفيذ وصية الملك الذي احبها واتخذها قرينة وهي من بنات الشعب والعامة .

لذلك عندما أمسى اسد الغابة ابن ثمانية عشر عاما اصرت حورية على تلك الرحلة فابنها اليوم يصلح أن يكون ملكا لبلاده فأرادت السفر للتأكد من احوال البلاد وأن الرجال الذين عاهدوا سماكا ما زالوا على العهد وأن الوصي سيخلع نفسه لابنها .

وكانت تقول لنفسها " لا تخلو الدنيا من أهل الوفاء ومن أهل الغدر " وكانت تراودها فكرة السفر بدون علم زوجها وابنائها بصحبة خادمها قمص .. يجب عليها أن تعرف حال البلاد قبل كشف الحقيقة لابنها وغيره .

وكانت ترى أن افضل فترة للسفر عندما يذهب اسد الغابة في رحلة صيد مع مدربه زيدان ، كان المدرب زيدان فارسا من فرسان السلطان ،وقد ترك الخدمة السلطانية وأنشأ مدرسة تدريب للفتيان على السيف وغيره .. وكان له بين كل فترة وفترة رحلة صيد في الغابات والوديان ، فيصحبه بعض الفتيان المتدربين في هذه الرحلات ، ويعتبر هذا نوعا من التدريب والبسالة ، ومكان الصيد في اطراف المدينة حيث الغابات والجداول والغدران .

وقد رافق عفر وأسد الفارس أكثر من مرة .. وقد يقضون اياما في الصيد .. فكانت حورية الماء تراها فرصة لمغادرة المدينة خفية ، فزوجها ما زال خائفا عليها ويتعذر بالأولاد حسام وربيعة . وكان زيدان يقرع قرعة بين الشبان الفرسان الصغار الذين سيرافقونه في صيده ، فخرجت القرعة لأسد الغابة دون عفر ، فاعتذر أسد الغابة لمدربه عن مصاحبتهم بدون عفر ابن زوج أمه فتنازل احد الأخوة لعفر فهما يعرفان تعلقهما ببعض .. وكان عفر متقدما بعض الشيء عن أسد بالقوة والفروسية ، فقد كان اسمن بدنا وأشد منه عضلا وأطول منه رغم أنه يصغره بشهور . كانا رفيقين بمعنى الرفقة فوافق الفارس على أخذهم كلهم ، وباتا تلك الليلة في مقر التدريب لينطلقوا مع تباشير الفجر ، وكانت حورية تحب عفرا وتراه نعم الاخ والصديق لولدها فأوصته عليه كما تفعل كل رحلة .

وفي الصباح حملت الخيام والاطعمة على ظهر الدواب ، ومشت نحو الغابات ، واعتلى الفرسان والصيادون جيادهم ، وكانت المجموعة تزيد عن عشرين رجلا وشابا ، فعشرة كبار وعشرة من جيل عفر واسد وثلاثة من الخدم .

وبعد مسير استمر يومين تخللهما نوم دخلوا احدى الغابات التي يرتادونها دائما للصيد ومطاردة الظباء والغزلان والوعول أكثر من غيرها من غابات الصيد .. وهذه الغابة كانت أول مرة يذهب إليها الشبان الصغار .. وشاهدوا الحيوانات الكثيرة التي تجول في الغابة وتدنو من بحيرات ومستنقعات الماء الصغيرة ، ونبهم زيدان إلى وجود الحيوانات الضارية في هذه الغابة ، وتقترب من المستنقعات المائية لتصطاد الغزلان عند إتيانها للشرب .

وكان عفر قد طلب من مدربه السماح له بالنيل من احد الوحوش القوية ؛ ليظهر له شجاعته وقوته ، أما أسد فلم يكن يحلم بلقاء أسد أو ضبع وحده .

نصبت الخيام على تلة مرتفعة وأشعلت النيران ؛ لأنه وصلوا قرب الليل لهذه المكان ، وقدم لهم الخدم الطعام من الارانب والطيور التي استطاعوا النيل منها أثناء مشيهم لمكان الصيد .

فارتفعت رائحة الشواء في المكان فنبهم زيدان ؛ ربما تقرب منهم بعض الحيوانات على رائحة الشواء وعليهم ترتيب حراسة طول الليل .. وكل فارس سلاحه معه وبقربه وعلى أهبة

الاستعداد .. ومن يذهب للخلاء يصحبه رفيقان .. ونبهم بخطر الزواحف كالأفاعي والعقارب وغيرهما ، وفي الصباح سيذهب فريق للصيد ويبقى آخر عند الخيام .. وهكذا يتبادلون الصيد والحماية .

وطلب أسد من مدربهم زيدان أن يكون هو وصديقه في فريق واحد، فابتسم المدرب وقال " ابشر أيها الفتى " ثم حثهم على العمل متفرقين وأن هذا لمصلحتهم .

وذكر عفر للمدرب خفية وصية أم أسد للمدرب ، وأن أباه غير أبيه فقال المدرب : اعرف أن أباه هلك ، وهو صغير وأن أباك زوج لأمه .. واعلم أن الانسان لا يهرب من قدره وحظه ، ولو كنت معه في كل لحظة ؛ فاذا جاء القدر بطل الحذر .. ويجب أن يتعود على البعد عنك .. هذه دنيا .. المرة الاولى سأسمح لكما بالذهاب معا.. أما المرة الأخرى فلا ..

تناوب الفرسان الحراسة الليلة ، ومضت الليلة بسلام وخير ، وفي الصباح خرج الفريق الاول للصيد .. فهم سيتجهون لبحيرة معروفة لهم أي الرجال الكبار ويتربصون للظباء عندها .. عندما تردها للشرب .. وبعد مسير لعدة ساعات وصلوا إليها .. فهي من الاماكن التي ترتادها الغزلان ، وهي معروفة لهم مع الزمن .. وعند الظهيرة رجعوا بصيد ثلاثة منها وصادوا ثعلبا كان يرابط عند الماء طمعا بصيد غزال صغير ، وارتفعت النيران وعلقت الغزلان .. وروى الفرسان قصة صيدهم لها والعقبات التي وجدوها أثناء الصيد .

وكانوا يحاولون اقتناص بعض الطيور والأرانب ؛ حيث هم ومن حولهم ، وفي اليوم التالي سارت المجموعة الثانية وفي صحبتها عفر وأسد .. وربضوا للحيوانات عند البحيرة ووفقوا إلى صيد بعضها كأصحابهم .

وتقرر أن يكون الصيد في الغد على مرتين فرقة في الصباح وفرقة في الليل لمن شاء .. ذهبت فرقة الصباح وصادت ما تيسر من الظباء .. وقال زيدان " لقد قل ورودها فقد شعرت بنا.. ربما صيد الليل احسن الليلة .. وعلينا اصطياد بعض الاسود "

والمجموعة التي ذهبت للصيد في الليل لم تتمكن من صيد شيء لشدة العتمة وقلة الوحش عند البحيرة فقال زيدان " يبدو أنهم رحلوا لبركة أخرى "

بعد السهر والعشاء ذهب قوم للنوم وبقي الحرس للحراسة. قضى الرجال عشرة ايام كاملة في الصيد ، وصادوا سوى الغزلان عددا من الثعالب للانتفاع بفرائها وجلودها .. وقد رأى اسد الوحوش الضارية من أسود ونمور وضباع وذئاب ولم يتمكنوا من صيد أحدها ، وكان تدريبا قويا للمجموعة كلها ، وسرتهم الرحلة وفكت الخيام وحملت على الدواب وتحركت القافلة للعودة للديار .

كانت حورية في خوف على ولدها ، فهذه أول مرة يغيب عنها كل هذه المدة من الزمن ، وكانت تتردد على مدرسة التدريب تسأل عن عودتهم .. فكم سرت عندما اقبل الشاب فرحا سعيدا من رحلته الطويلة جدا بالنسبة إليها وإليه فعانقها وقال : اشتقت إليك يا أمي .. كانت رحلتنا هذه المرة طويلة .. لقد تعمقوا بنا إلى جوف الغابة حيث الاسود والذئاب الكثيرة .. والغزلان اللذيذة .

هدأت روحها وتركته ، وعانقت عفرا الذي تحبه كابنها اسد لصداقتها وحبهما لبعض، وشكرت الله في قلبها على عودته سالما سعيدا ، واستمعت لهما بلذة عن صيدهما ومطاردتهم للوحوش والظباء وسرها ما فعله المدرب من التفريق بينهم أثناء مغامرات الصيد ، فهي تعلم قوة تعلقهما ببعض خاصة اسد .

****

بلاد عيسى بلاد كبيرة ويسكنها عدد كثير من البشر وهي ممتدة حتى تصل طرف البحر حيث ميناء حمار عيسى ، وهي سبع مقاطعات كبيرة محيطة بقلب المدينة حيث قصر الملك والوزراء والجند ، وتعتمد بساتينها وسكانها على مياه المطر والعيون والسيول والجداول الصغيرة ، ويحيط بها الكثير من القرى ، يعمل أهلها بالرعي والزراعة حتى أنك تجد لتاجر أو قائد أو أمير قرية كاملة يعمل بها الفلاحون له ولأسرته .. اكثر القرى تتبع لأسر تركت الخدم يعملون لهم وانتقلوا للتجارة في وسط البلاد .. حيث مقر السلطان وكان يحكمها قبيلة يقال لهم " بنو سامون " والمدينة تعتمد على التجارة البرية والبحرية .. فكان سماك عندما اختارها على البلاد لإخفاء ابنه لمعرفته بسعة البلاد وكثرة ناسها ويسهل الاختفاء فيها ورأينا كيف سعى غضبان

في البحث عن هذا الابن وقبله زيد الوصي وقد ذهبت مساعيهم ادراج الرياح وحتى أن عيونهم لم يصلوا إليها لبعدها عن بلادهم كذلك .

وافق جاد لشجرة بالسفر لبلاد الشواهد بعد عودتهم من رحلة الصيد الكبيرة ، تفاجأت حورية بقبوله ، فهي كانت تفكر بالسفر خفية عنه ، فغمرها السرور لرضاه ، وطلب منها أن تذهب بدون أسد ، وهذا ما كانت تريده .. فتقرر أن يرافقها عبدها قمص فحسب ، وكان قصد جاد من بقاء اسد لتفكر بالعودة له ولولديها منه .. وهي راغبة ببقائه لتنظر احوال البلاد لتكشف له امره الخطير وابن من هو حقيقة ؟

أقسمت حورية لزوجها بأنها ستعود إليه ولأولادها، ولن تبقى عند أهلها في بلاد الشواهد ، ولا تفكر بالهرب ؛ فليس لها في هذه الدنيا إلا هم ..ولكن الشوق يشدها لرؤية والديها اذا ما زالا على قيد الحياة . لما كاشفت الاولاد بقصة الرحلة تحمسوا للسفر معها ؛ لكنها رفضت ذلك لبعد المسافة وطول الرحلة ووعدتهم بزيارة معهم في قابل الأيام ، ورافقها الأولاد وجاد إلى حمار ؛ حيث ستركب البحر إلى المدن الأخرى ولما ركبت السفينة لحوت عاد جاد والأولاد لحي النسران ؛ حيث يعيشون حظهم من الدنيا .

وانشغل أسد وعفر بالمزيد من التدريب في معسكر الجند ؛ ليلحقهم زيدان بالجيش اذا اجتازوا تدريبات الجيش القوية . ومضت الايام وقاموا برحلة أخرى مع زيدان ، ولم ترجع أم أسد بعد ، مضى الشهر الاول والثاني ولا خبر عنها، فتسرب الخوف على حياتها في قلب جاد ومشى إلى البحر عدة مرات ، وطلب من ابنه الصياد البحري ليل عندما التقاه السؤال عنها فعجب الشاب بالطريق التي سيتحرى بها عنها ، وكان جاد يقضي اياما عند البحر يتحدث مع المسافرين عن اخبار بلاد الشواهد والكل يردد له أنها بلاد بعيدة عن عيسى والقليل من يذهب إليها . وقضى شهر آخر يتردد فيه على حمار دون أن يظفر بعلم عنها حتى راودته نفسه بالمغامرة إلى تلك البلاد .. ولم يجد احد يشجعه على هذه الرحلة لصعوبة وجودها في كل تلك الامصار هل هي حية أم ميتة ؟!

ربما غرقت سفينتها ؛ ربما تعرضت لقرصان المياه أو أنها نسيتهم عند لقاء الاهل ومنعوها من

العودة لأولادها .. وذكر جاد أنها قضت سنوات بدون زواج ومع ذلك لم ترجع لبلادها .. لابد أن شيئا صعب اصابها .. حتى خادمها قمص لم يظهر ..

وأحس اسد الغابة بطول غياب أمه .. وأحس أن خطرا دهمها ، لقد طالت غبيتها عن المألوف فضياع أمه ضياع له .. فهو وحيد في هذه الارض .. لا أم ولا أب .. له أخوة من أمه ؛ لكنهم ليسوا كالأم والأب ..فهو لا يعرف أقارب أبيه ولا أقارب أمه .. أمه لم تحدثه عن أسرتها أو أسرة أبيه ..

فكر جاد بعد ذهاب الشهر السادس لغيبتها بالسفر إلى الشواهد ، فوجد أنه لا يعرف شيئا عنها .. يذكر أنها ذكرت له أن والدها صياد .. ولا يعرف اسمه ولا حتى اسم أبيها وأب حسان ..كانت امرأة غريبة وأرملة ولا تهم الأسماء عند النكاح .. حبطت همته .. ومضت السنة ، فزاد اليقين عنده بهلاكها وغرقها هي والعبد قمص ، فأصابه الحزن الشديد واليأس .. وحاولت محبوبة مساعدته والتخفيف من همه وحزنه على الزوجة المفقودة فيقول بحزن : لو نعرف أنها ميتة لارتاحت نفوسنا لقدر الله

وبينما هم في هذا اليأس القاتل دخل عليهم قمص الخادم ، وقبل يد السيد وأسد الغابة وذهب في بكاء ونشيج مسموع مما زاد الفزع في قلوبهم فقال جاد بلهفة : هاتوا الماء له والطعام .

فقبل الماء وشربه وقال مفاجئا لهم : لم تعد سيدتي إليكم بعد ؟

دهشوا لهذا السؤال وصاح جاد " ويحك ألم تركب السفينة معها ؟!"

فقال: لقد سألت الجيران عنها فقالوا " منذ خرجت لم ترجع " ..

ـ قص علينا الحكاية

فقال: ودعتنا يا سيدي في حمار كما تعلم، وركبنا السفينة لبلاد حوت التي دخلناها بأمان الله وسلامه ..وقضينا فيها يومين نستريح ثم ركبنا سفينة متجهة لمدينة باد وصلنا إليها بعد أيام بكل سلام وأمان ..وبعد راحة ركبنا الدواب مع قافلة برية سائرة إلى بلاد الشواهد ، وبعد أيام في الطريق دخلناها فرحين سعيدين ..ومشينا إلى قرية الصيادين في مدينة تابعة للشواهد اسمها الحزينة ، بحثت شجرة عن أسرتها ، فوجدنا رجلا يعرف تلك الأسرة فعلمنا أن

أكثرها هلك في حروب بين اهل المدن انفسهم وفي محاربة المدن المجاورة لهم .. كانت تخرج ناحية البحر تبحث عنهم حتى التقت برجل يعرف أخبار أسرتها ، فقص عليها قصة بلاد الشواهد والصراعات القائمة فيها ..وقضينا زمنا نبحث ونسأل ثم ركبنا البحر الى باد .. واعتدى علينا غزاة في البحر وأخذونا رقيقا وساقونا إلى جزيرة اسمها سعدة .. وهناك افترقت عن سيدتي شجرة ، وبحثت عنها فلم أجد لها خبرا .. فصممت على الهرب والمجيء اليكم .. فهربت من سعدة بجنح ليل واليوم وصلت إليكم أيها الاسياد !

بكى جاد والاولاد على فقد شجرة ، وقال جاد : الحمد لله على عودتك سالما يا قمص .. إذن شجرة في مدينة سعدة أسيرة الغزاة

ـ يا سيدي جاد لما دخلنا تلك الجزيرة فصلوا الرجال عن النساء ، وباعونا للتجار كرقيق وإماء ، وبعد افتراقنا لا أدري يا سيدي هل بقيت سيدتي في الجزيرة أم نقلوها لمكان خارج الجزيرة ؟ لأني بحثت وتعسعست أشهرا عنها دون أن أقف لها على خبر .. بل عرفت مكان هؤلاء المجرمين ؛ حيث يعيشون في الجبال في تلك الجزيرة ولم اجدها عندهم .. وعلمت أنهم عصابات من عدة جزر يستولون على السفن وبيع الركاب لتجار النخاسة والعبيد .. وعلمت أن حكام تلك الجزر يتشددون في عقابهم ويقتلونهم شر قتلة ؛ لأنهم يقللون من سفن التجار والركاب إلى مدنهم .. ولكنهم احترفوا هذه المهنة ويجدون من يبتاع منهم .

بكى القوم فقيدتهم واحتسبوا أمرهم عند الله ، ووعدهم الخادم قمص بالعودة للبحث عنها من جديد ، ولن يطيب له عيش حتى يعرف مصيرها أحية هي أم ميتة ؟

فأثنى عليه جاد خير الثناء وشكره على جهده والوفاء ، أما اسد الغابة فقد ركبه الحزن الشديد عدة أيام ، وكان يفكر بطريقة يصل بها إلى أمه المفقودة منذ شهور .

وكان جاد يعلم مقدار الالم في صدر اسد فقد امسى وحيدا في هذا الكون .. لا أم ولا أب .. فحثه على الصبر وعلى بقاء الامل في قلبه وأنها سوف تتحرر من آسريها في يوم من الايام كما فعل قمص . وشجعه على المتابعة للتمارين فقد اعلمه زيدان انهم بعد انتهاء التمارين سيلحقونكم بجيش الأمير (سلعود) ابن الملك وأن قمصا سيذهب للبحث عنها واذا وجدها

أسيرة سيفتدونها بالمال .

وفعلا بعد مضي شهر على عودة قمص تجهز الرجل للسفر الى جزيرة سعدة ليعرف أين يبيع القرصان أسراهم .. أي الجزر تبتاع منهم ؟.. ليبحث عنها في تلك الجزر ووعدهم بالعودة بعد ستة اشهر فشكروه وودعوه .

الحزن سيطر على اسد الغابة وحتى عفر .. فالأم له معزة في قلب الابناء فكيف بأسد الغابة الذي ليس له في الدنيا إلا هي ؟.. أين أقاربه وأعمامه وأخواله ؟.. أكلهم هلكوا كما اخبر قمص ؟ فكان يكثر من البكاء على حاله ولم يعد تراه ضاحكا واخذ يفكر بالانتقام لها من كل غزاة البحر وقراصنتهم .. وحاول جاد مساعدته بترك الحزن الاسود والبكاء .. وفعل مثل ذلك عفر .. وسيطر عليه حب الانتقام .

مضت سنة ولم يعد قمص ولم يكتب رسالة ولا خبر من طرفه . بعد ما يزيد عن خمس سنوات ظهر قمص في مدينة عيسى وقد تفاجأ جاد واسد وعفر بظهوره بعد كل هذه السنين واخبرهم بأنه ظل يبحث ويسأل عنها حتى وجد السيدة شجرة جارية في بلاد حمامة ورحل بها إلى بلاد الشواهد حيث وجدت والدها الصياد جرو البحر وأنها ترغب برحيل أسد الغابة لعجزها عن السفر .

تحدث اسد وعفر مع قائدهم عن أمه فسمح لهما بالسفر لبلاد الشواهد وقال : إذا احتجتم لمساعدة اكتبوا لنا ليساعدكم ملك البلاد .

قادهم قمص إلى بلاد الشواهد ، والتقى أسد بأمه وسط عناق وحب وعانق عفر زوجة أبيه ، ثم كاشفت حورية أمام ابيها جرو البحر أسد الغابة بمن هو وقصتها ، واكد جرو الحكاية لأسد وعفر ، وانتشر الخبر بين الصيادين بظهور ابن الملك سماك من حورية الماء ، ومشى الخبر إلى قصر قروان وظهرت شيماء بنت حورية وشقيقة اسد حيث كانت تعيش بصورة مختفية خوفا على حياتها ، ولما تأكد أهل البلاد من حقيقة أسد الغابة ، وتحدثوا عن نبوءة سماك تنازل قروان امام رغبة الصيادين وجلس اسد الغابة على عرش بلاد الشواهد واستعان بقائده زيدان وبعض فرسان مدينة عيسى لتأسيس جيش على غرار تلك البلاد ، ورحل جاد زوج حورية

لبلاد الشواهد ، وقد صاروا أهل الملك والملكة حورية ، وكذلك زوجة أسد وطفله الصغير الشبل ، وعجب الناس لتصاريف القدر ، وتمنوا عودة الهدوء والسلام لمدينتهم ؛ كما كانت قبل هلاك الملك سماك بن صخرة والحمد لله رب العالمين .



قصص وحكايات الفوارس

مغامرات وخيال وأحلام وأخلاق وأخيار وأشرار وفرسان وشجعان

كل هذا وغيره تجده وتقرأه في هذه السلسة من القصص

الممتعة والمثيرة والمسلية

١ حسان والطير الذهبي

٢ الأمير جفر

٣ عبدالله البحري

٤ رمان

٥ الأميرة نهر الأحلام

٦ زهلول في ارض الجان

٧ مملكة مالونيا الملك بربار

٨ قطبة بن سنان

٩ حصرم بن سلام

١٠ القصر المهجور

١١ نمير وزعيط في جزائر البحر

١٢ انتقام الفارس شهدون

١٣ الأميرة تاج اللوز وولديها

١٤ الفارس جبل بن مجدو

١٥ سيف الزمان وجميلة

١٦ حكاية ريح البحر

١٧ الملك ابن الراعي

١٨ مدينة نجوان

١٩ الملك زرارة والملكة سفانة

٢٠ أبناء الملك سهاك